علمُوا الأبناء صدق الإنتماء

الوطن

و

حقوق غير المسلمين فى بلاد الإسلام



بقلم

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة

الأزاريطة ت ٤٨٤٦٥٠٨

(علمُوا الأبناء صدق الانتماء)

الوطـــن

و

حقوق غير المسلمين فى بلاد الإسلام

ألاستاذ

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

٢٠٠٩

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ ش د. مصطفى مشرفة ـ سوتير سابقاً

تليفون وفاكس ٤٨٤٦٥٠٨ الإسكندرية

رقم الإيداع :	٢٠٠٨/٩٣٢٤
الترقيم الدولي :	I.S.B.N 977-388-217-9

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله القوى المتين : الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين: ثم جعل نسله فى قرار مكين : وتبارك المنزل على عبده [يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ الَّذِى خلقكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ] ١:النساء

والصلاة والسلام على نبى الرحمة: رسول السلام ، داعى المحبة والمساواة والوئام، من أرسى قواعد العدل والإنصاف والإكرام، المبعوث رحمة للإنسانية جمعاء ، سيدنا محمد الهادى البشير ، السراج المنير ، القائل : (أيها الناس : إنَّ ربكم لواحد ، وإنَّ أباكمْ لَواحدٌ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى).

نلاحظ من فطانة النبوة فى طيب القول الشمولية الكافية والضوابط الشافية لحدود الإنسانية ، حيث بيّن أنَّ ربَّ الخليقة واحد عز شأنه، وفيه إثبات الوحدانية ، وإطلاق الربوبية لله وحده لا شريك له . وإثبات وحدة أصل الخليقة جمعاء أنها لأب واحد هو أدم عليه السلام . وفيه الدعوة لقوة رابطة الصلة بين بنى الجنس الآدمى الواحد ، كما أثبت حد التفاضل بين الخلق ألا وهو التقوى ، وأن الأديان السماوية ينبوع معينها واحد ، وما الإسلام ؟ وما المسيحية؟ وما الموسوية الحق؟

هل هى إلا أديان تنزلت على رسل من البشر إلى البشرية فى مراحل زمنية مختلفة من حياتهم الدنيا ، ليسموا بها إلى المثل العليا ، ويرتقوا إلى الأخلاق القويمة، والفضائل السامية، ويتعاونوا على البر والتقوى، وليرتبطوا برباط الحب والرجاء، والخشية والخوف من اللّه عز وجل، باسط الأرض ورافع السماء ، فيعيشوا ما عاشوا على الأرض إخوة متحابين.

يجمعهم على الفضائل الإنسانية قاسم مشترك هو الإيمان باللّه الواحد عز شأنه ، الذى خلقهم من نسل واحد ، وإليه مرجعهم جميعاً فى مصير واحد ، هو

الموت

فلا يغيب عن ذى عقل وبصيرة طرفة عين أن المبادئ السامية للأديان السماوية والأهداف واحدة ، وإن اختلفت الكيفيات والهيئات والأزمنة فى أداء العبادات. فكلُ ديانةٍ يُصلّى ويصوم ويُزكّى ويحج معتنقوها بكيفية وهيئة فى أداء المُناسك تختلف عنها فى الديانة الأخرى.

وقد قرر القرآن العظيم هذه الحقيقة فى قول الحق عز ثناؤه: (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم). فليست الكيفيات فى أداء النسك مناط نزاع وإنما المبادئ عامة والغاية واحدة لا يختلف فى الإيمان بها ذو دين ، عن ذى دين آخر، مهما تعددت الأسماء واختلفت الصفات والبقاع والأزمنة والمجتمعات.

وما يتبع تعددها من إختلاف فى بعض الموازين والوسائل.

فإن الدعوة واحدة ، تنزلت من إله واحد ، لجنس واحد ، تعاقبت أجياله على نسب مشترك من لدن آدم عليه السلام ، وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.وتعاقبت أنبياؤه برسالات ربهم إلى جيل بعد جيل ، ليكونوا تعبيراً متطوراً لمعنى تلك الدعوة التى أنزلت جميع الرسالات من أجلها ، تطوراً يتناسب مع تطور هذه الأجيال فى كل زمان ومكان دون نقص فيها ولا زيادة لأنها دعوة أزلية أبدية ، منذ خلق الله تعالى ، الخلق وإلى أن يجمعهم فى ساحة رحمته وعدله.وهذا الكتاب أسميته الوطن وحقوق غير المسلمين فى بلاد الإسلام ضمنته إرشادات قويمة ، ومبادئ عظيمة ، يستفيد بها الشباب ، ويسترشد بها الأحباب ، فإن الوطن عز الأبناء ، وميراث الأجداد ، وإن اختلف اللون والإعتقاد ، وأسأل الله تعالى أن ينفع به .. إنه قريبٌ مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ..

خادم القرآن

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

الوطن أرض وأهل

الوطن يعنى أهل وأرض ، فالأرض ومن يسكنها هما الوطن ، لذلــك لمّــا هاجر نبى الله الخليل إبراهيم عليه السلام ومعه زوجه السيدة هــاجر وابنــهما إسماعيل عليه السلام ، إلى الجزيرة العربية عند البيت الحرام ، نظر الخليــل إلى الوطن الذى سيقيم فيه ولده إسماعيل وأمه هاجر ، فوجد صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء ، فإذا به يناجى خالق الأرض والسماء عــز ثنــاؤه ، فــى ضراعة ورجاء أن ينعم بفضله وكرمه على المكان بإنبات الزروع فيه وإنــزال الماء ، حتى تتوفر مقومات الحياة فيأتى إلى المكان مــن يسـكنه ويعمــره ، والحق سبحانه لا يخيب رجاء من يخلص له عز شأنه ، فى الدعاء ، وها هــى كلمات خليل الرحمن عليه السلام ، سجلها الحق سبحانه ، قرآنا يتلى على مــر العصور والأزمان ، وحتى يرث اللّه تعالى الأرض ومن عليــها (ربنــا إنــى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيمــوا الصــلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون).

وسرعان ما تنفجر زمزم بالماء ، يعكف عليه الطير فى الســماء، فــتراه القبائل فيعرفون أن الطير لا يعكف إلاّ على الماء ، فيرتحلون إلى المكان الــذى فيه الماء ، ويتركون أوطانهم الجرداء التى لا زرع فيها ولا ماء ، ويســكنون بجوار إسماعيل عليه السلام عند البيت ويعمرون الوادى الذى أوجد الله تعــالى ، بقدرته فيه الماء ، وأنبت فيه الزروع والثمار ، وها هى الأفئدة تأتى علــى هيئة حجاج من كل مكان من بلاد المسلمين قاصدين إلى البيت الحرام فى كــل عام لأداء الحج والعمرة ، استجابة من الله تعالى ، إلى دعوة الخيــل إبراهيــم عليه السلام ، وهى الدعوة الباقية إلى يوم القيامــة ، ونلاحــظ أن مــن أهــم دعامات الحياة فى الوطن ، أن يكون آمنا بأهله ، فلا يكــون الوطــن صالحــا

للحياة إلا بتوافر الأمن والأمان لمن يعيشون فيه ويقطنون على أرضه ، لذلك نجد من جملة دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام، وقبل طلب الرزق والثمرات من الله عز وجل ، يطلب الخليل من ربه سبحانه ، الأمن أولا للمكان الذى سيسكنه ولده إسماعيل وأمه هاجر (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وأرزق أهله من الثمرات). نلاحظ أن طلب الأمن مقدم على الرزق فى الآية الكريمة دلالة على أهمية الأمن فى حياة الأفراد والشعوب ، فوطن غير آمن ، لا حياة لأهله وإن كان ينعم بالخيرات والثروات ، ونلاحظ أيضا أن الخليل إبراهيم عليه السلام ، كرر طلب الأمن للوطن الذى أودع فيه أهله ، إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر ومن سيعيشون معهم مرتين، الأولى جاءت منكرة بدون لام التعريف ، ويقصد بها مكة المكرمة فقط ، أما فى الثانية جاءت الدعوة معرفة ويقصد بها العربية السعودية كافة فيما سجله القرآن العظيم من خصائص دعاء الخليل عليه السلام (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام). فجاءت الدعوة الأولى خاصة بمكة التى يقيم بها إسماعيل عليه السلام، وأمه، على أن تشمل جميع أهلها الذين سيقيمون فى المكان معهما، فى قول الحق عز ذكره (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات). وفى الثانية جاءت عامة لتشمل الجزيرة العربية ، نلاحظ من فطانة النبوة أن الأمن الخاص فى موطن خاص يتأثر بالأمن العام فى جميع ربوع الوطن ، فلا يكفى أن نحافظ على أمن قريتنا ونترك باقى قرى مدينتنا ، فإن الأمن الخاص لن يكون مع وجود خطر يهدد الوطن عامة ، وصلاح الوطن يكون بصلاح أهله وأرضه ، ويفسد بفساد أحدهما

حب الوطن فطرة

حب الوطن فطرة إنسانية ملازمة للفرد منذ ولادته فمن عظيم صنع الخالق سبحانه ، فى تكوين الإنسان أن أودع قلبه وروحه حب المكان الذى ولد فيـه ، فالنفس تعشق المكان الذى نشأت فيه ، والروح تتعلق بالمكـــان الــذى ولــد جسدها فيه ، والقلب فى نبضاته ينبض بحب الوطن ، والفرد الذى هو مجمـوع الروح والجسد والقلب والعقل يُحب المكان الذى ولد فيه ، وتربى بين أحضانـه ، ودرج فوق ترابه ، وعاش على أرضه وتحت سمائه ، وتغذى على خيراتــه، وارتوى بمائه ، واستنشق هواءه ، وشم عبير نسماته، فـــالوطن هــو مــداد التكوين ، وهو الحياة وبه التمكين ، والمسلم وغير المسلم يحب وطنه ويرتبـط به ارتباط الروح بالجسد فيحافظ على كل صغيرة وكبيرة مـــن مقدراتــه، وأن يعمل على تقدمه ورفعته وزيادة نموه وخيراته ، وأن يشعر بصدق انتمائــه أنّ كل ما فى الوطن من إنجازات وممتلكات وثروات ومقدراته هى ملك له ولأبنائه من بعده وأحفاده ، وأن يُحب أهل وطنه على إختـــلاف عقـــائدهم ودياناتـــهم وألوانهم ويعمل على سعادتهم دون تفريق أو تمييز أو عنصرية ويتحقق ذلــك بمعاونة الضعيف ، وسد حاجة المحتاج ومشـــاركتهم أفراحــهم وأحزانـــهم . وتوفير الأمن لهم عملا بقول رسول الإنسانية سيدنا محمد (ﷺ) (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى لـه باقى الأعضاء بالسهر والحمى). ونلاحظ فطانـــة النبـوة فـــى النــص (مثــل المؤمنين) ولم يقل المسلمين لأنّ الأصل فى الديانات عامة الإيمـــان المطلــق بوحدانية الله عز وجل ، وأنّ الأصل فى الإنسان أنّه عابد وأنّ له معبود ، وإنّما يقع الإختلاف فى إعتناق الديانة والكيفية التى تؤدى بها العبادة بالإذعان إلـــى رسالة سماوية دون الأخرى.

وقد أكد التنزيل هذا المعنى فيما قرره عن يوم العهد والميثاق الأعظم قول الحق عز ثناؤه (وإذْ أخذ ربُّكَ من بنى آدم من ظُهُورهمْ ذُرِيَّتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ على أنفُسهمْ ألسْتُ بربِّكُمْ قالوا بلى) فانفطرت الذرية جميعها على الإقرار بوحدانية الله عز وجل، والإيمان المطلق بربوبيته ، ويُعرف يوم العهد والميثاق بيوم (ألست بربكم) فأجابت ذرية آدم عليه السلام الخالق سبحانه (قالوا بلى) وقد أكدت السنة المطهرة هذا المعنى قوله (ﷺ) كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو يمجسانه ، أو ينصرانه.

إذن التغيير تلقين وتقليد ، أمَّا أصل الفطرة فى الخليقة ، إيمان مطلق بالله المبدئ المعيد عز شأنه.

وهى دقة فى تشبيه المجتمع المؤمن بالجسد الواحد من فطانة النبوة ، بما يقضى على العصبية ، والقبلية ، والعنصرية والأحساب والأنساب والتفرقة والأنانية ، فهذا جميعه ليس من الإسلام فى شئ ، وإنما الإسلام مودة ورحمة وألفة ومحبّة ، ومحنّة ، ووئام ، وأمنٌ وسلام ، يزول معه كل خوف ، ويذهب معه كل حزن وألم ، فالمجتمع المؤمن آلفٌ مألوف ، وحدة كاملة البناء والصفوف فما أعظم تشبيه رسول الله (ﷺ) [المؤمنين فى توادهم وتراحمهم بالجسد الواحد]المؤمنين عامة مهما تباعدت المسافات واختلفت الأوطان والإقامات ، فإنهم يجب أن يكون هذا حالهم أنهم كالجسد الواحد ، إذا اشتد خطب ونزل كرب فى موطن من مواطن الإسلام ، تألم له جميع أوطان الإسلام ، وتضافرت الجهود لدفع ما نزل، وإذا نزل ما يوجب السعادة والفرحة فى موطن ، سعد وفرح له باقى أوطان المؤمنين، فالمسلم من فطرته حب الإسلام وحب بلاد المسلمين فجميعها أوطانى ومواطنيها إخوانى [إنما المؤمنون إخوة].

وفى بيان روائع الإيمان الحق قال الرسول الخاتم (ﷺ) ، (الإيمان عفيف عن المحارم ، عفيف عن المطامع) رواه أبو نعيم فى الحلية. والمعنى أنَّ

المؤمن الذى بلغ الحقيقة فى إيمانه يعفه إيمانه عن المحارم فيقـدس حرمـة الآخرين فى الدماء والأعراض والأموال. ومن جملة عفاف إيمانه أنّ لا يكـون له مطامع فيما فى أيدى الآخرين. فيكون عفاف الإيمان عفافان ، عفاف عـن المحارم التى هى الدماء والأعراض والأموال وعفاف قناعـة فـلا طمـع ولا مطامع.

وفى شمولية روائع الإيمان وبلوغ حقيقته قـال الصـادق الأمـين سـيد المرسلين محمد (ﷺ) (لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس مـا يحـب لنفسه من الخير) رواه أبو يعلى وابن حبان. ويجب أنّ نمعن النظر فى عمـق طيب الحديث النبوى بدقة وعناية حيث جاء بلفظ الناس ولم يقل حتـى يحـب للمسلمين أو المؤمنين وإنّما قال : الناس ، وكلمة الناس تشمل عموم الجنـس البشرى من لدن آدم عليه السلام وحتى يرث الله تعالى الارض ومن عليـها ، دلاله على أنّ حب الخير واجبٌ على المؤمن للناس عامة ، وهو واجب إيمـانى ، وبالمقابل وأنّ يكره للناس ما يكرهه لنفسه ، وهو المعنى المقابل للحب إنـها بلاغة ، وفطانة من أوتى جوامع الكلم (ﷺ).

وقال (ﷺ) : فى حقيقة الإيمان أيضا : (لكل شئ حقيقة ، وما يبلغ العبـد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه ، وحتى يأمن جاره بوائقـه[10]) رواه ابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما.

وقال (ﷺ): (ثلاث من الإيمان ، الإنفاق فى الاقتار ، والإنصاف من نفسـك ، وبذل السلام للعالم) رواه أبو نعيم فى الحلية. ١) الأنفـاق فـى الإقتـار أى الإنفاق على المعسرين والمحتاجين ممن حولك .مع شدة حاجتك الى ما تنفـق تحت قاعدة قول الحق تعالى (ويؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصـة)

---

[10] بوائقه : أى شروره.

٢-الإنصاف من نفسك أى كبح جماح شهواتها ورد الحقوق لأصحابها ولو كان عدوا) ٣-بذل السلام أى إفشاء الأمن والأمان للناس عامة.

وفى منهجية السلوك والتعامل نجد من الهدى النبوى الشريف قوله (ﷺ) [ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا]. إنها عظمة ما بعدها عظمة فى إرساء قواعد الاحترام والرحمة بين افراد الأمة ، وقار من الصغير للكبير ، ورحمة من الكبير بالصغير ، إنها أعلى مراتب الرفق والتلطف فى معاملات أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (ﷺ)، خير أمة أخرجت للناس [كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله].

فتلك ثلاث خصال بها نالت الأمة الخيرية على سائر الأمم وهى : أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وإيمان بالله عز وجل ، خالق الإنسان ومبدع الأكوان من العدم ، ولبيان أن القليل من الزاد يكفى مع وجود وطن آمنً ينعم الإنسان فيه بالأمن والطمأنينة على نفسه وماله وولده نجد من الهدى النبوى الشريف ، قوله (ﷺ) : [من بات آمنا فى سربه ، معافا فى بدنه ، يملك قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحزافيرها] أى من كان له وطن يعيش فيه وهو امن فى نومه وسعيه وحياته ، بدنه معافاً من الأمراض والأسقام ، يملك طعام اليوم الذى هو فيه فقط ، فكأنما ملك الدنيا بمن فيها ، فالإنسان إذا كان له وطن يعيش فيه وهو آمن على نفسه وولده وماله وأهله وجيرانه ، يكفيه قليل القليل من الطعام مع وجود الوطن والعافية فى صحة البدن ، فلا قيمة لمال كثير يملكه الإنسان وهو شريد لا وطن له ولا مكان ولا أمان ولا عزة ولا كيان وإن ملك كنوز الدنيا من المال وليس له وطن فهو ذليل ، لا قيمة له ولا كرامة ، وأيضا لا قيمة للمال مع سقم الجسم واعتلاله بالمرض ، وهو ما يقصده الرسول (ﷺ) [معافاً فى بدنه] أى صحيحاً سليماً قوى البدن ، لأنّ الصحة نعمة الله تعالى الكبرى وقد شبهها الحكماء بأنها تاج على رؤوس الأصحّاء ، وهذا التاج لا يشعر به وبعظمته الأصحّاء ، وإنما يراه المرضى فقط ، لأن الإنسان

منا لا يعرف قيمة الشئ إلا إذا افتقده ، لذا فإن المرضى هم الذين يعرفون قيمة الصحة ، فإن الصحيح المعافى فى بدنه ، قد يسئ إستخدام الصحة ويبدد طاقتها ، فقد ترى من يفترى على ضعيف بصحته، وقد ترى من يلقى بنفسه من أماكن عالية ، وقد ترى من يقذف الممتلكات العامة بالحجارة مثل زجاج السيارات والقطارات ويعبث بالأشياء دون وعى منه وإدراك أنّ ممتلكات الوطن هى ملك له ولأبنائه وأحفاده من بعده ، وأنّ تبديد صحته وطاقته فى الصغر سيشعر بقيمتهما ويندم عليها فى الكبر.

فنجد من هدى الرسول الأعظم (ﷺ) فى الحديث الشريف : إنْ هذه الحدود الثلاثة التى هى : أمنَ فى الوطن ، وعافية فى البدن ، وقوت من الطعام يكفى اليوم الذى نحن فيه ، إنها مقومات السعادة الحقة ، فمن توفرت له هذه الثلاثة ، فكأنه ملك الدنيا بمن فيها ، وفيه بيان أن القناعة كنز لا يفنى ، وغنى ما بعده غنى ، وفيه بيان أن الجشع والجزع ليس من سمة الإسلام ولا الإيمان ، لأن الأصل فيهما القناعة والرضى.

فقليل يسد حاجة الفرد وأسرته ولو كان قوت اليوم مع وجود الأمن فى الوطن والعافية للبدن ، فلا يقلق لأن الخالق هو اللّه عز ثناؤه ، والرازق هو اللّه تباركت أسماؤه ، ولا دخل للإنسان فى الخلق والرزق، ولـذا جاء فى الوصايا الربانية لرسول الإنسانية سيدنا محمد (ﷺ) [وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن رنزقك].

أى مر أهلك بالصلاة وأديها بصبر وتثبت واطمئنان ولا تقلق على رزقك فتقصر فى أدائها بسبب قلقك على السعى لطلب الرزق ، نحن نرزقك، والمؤمن صاحب العقيدة الراسخة ، يكفيه وطن حر آمن، وصحة قوية وعافية فى البدن ، وطعام يكفيه قوت يومه الذى هو فيه يساوى حيازته للدنيا وما فيها ، بل هو أفضل إذ لا دنيا مع إنعدام الوطن ، ونتبين من الحديث الشريف أهمية الوطن

حتى ولو كانت ثرواتنا به قليلة ما دمنا ننعم فيه بـالأمن والحريـة والصحـة والأمان والعافية.

الحب وصدق الإنتماء

الحب هو تعلق الروح بالشئ الذى تحبه ويتجاذب جسدها إليه بمعنـى أن الروح تحبُ محبوبها فلا تطيق فراقه دائمة التهافت والتوق إليه حباً وشـوقاً ممذوجان بلذة ما بعدها من لذة فيشعر المحب أنه وجد فى هذه الحياة من أجـل محبوبه فقط ، فكأن المحبوب هو مداد الحياة للمحب فلا يقدر على فراقـه ولا قيمة بدونه لحياته هكذا الوطن ، فهو المنشأ وفيه التكوين ، مثل الأم ووليدهـا فى بطنها جنين ، أنظر مدى قوة الرابطة بين الأم وولدها ، كذلك الفرد ووطنـه فيه نشأته ، ومنه بدايته تربى على خيراته وعاش فى أحضانه فـوق ترابـه وتحت سمائه، لذا نرى من أحوال المحبين عجائب الصفات وخوارق العـادات من أجل تحقيق الذات ، بما يرضى محبوبيهم فيزيد قربهم ، ويطيب عيشـهم ، وكل حب دون حب الوطن يهون فحب الوطن لا يضاها ولا مقارنة ، فهو أساس وحب العاشقين به لا يقاس ، فإن من لم يعرف للوطن قدره ، يعيش فى الدنيـا فاقد الإحساس ، وكيف يحب من ليس له وطن فهو يشبه الجسد بلا رأس ، هل رأيت طفلا ولد بغير أم ، هل تكوّن جنين بغير رحم ، هكذا الوطن للمواطـن ، فلك الحب أصفى حبى يا وطنى ، وفداك روحى ودمى.

أما الإنتماء ، فهو قوة الرابطة والتلاحم بالشئ مثـل ذرات المـادة فـى صلابتها ، وسرعة إعادة تكوينها عند تحللها واتحاد عناصرها ، أى أن الفـرد والوطن مادة واحدة فى طبيعتها وتكوينها، نشأة وحياة، فكـل منـهما ينتمـى

للآخر ، بل هو جزء منه لا ينفصل عنه ولا يتجزأ وبدونـه لا قيمـة لـه ولا يستطيع الحياة.

فالوطن للإنسان مثل الروح للجسد ، فإنسان بلا وطن ، جسد بلا روح، وقد ظهر حب الوطن وصدقُ الانتماء إليه واضحاً جلياً عند رسول الله (ﷺ) حال خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة ، فقد ظلّ ينظر إلى مكة بحزن وأسى ، وتزرف عيناه الشريفتان الدمع وكأنّ الجسد مفارق للروح، يخاطبها بقوله (ﷺ) ، [والله إنّك لأحب بلاد الله إلى الله وأحبها إلى ، ولولا أنّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت].

هذا حالُ خيرُ الخلق وحبيبُ الحقّ عز ثناؤه عند مفارقته لوطنه فما بال الجاحدين المنكرين لحق أوطانهم المقصرين فى أداء واجباتهم ، ولا مقارنة مع رسول الله (ﷺ) ، الذى راودته الجبالُ أنّ تكون له ذهباً وفضة أبى ، وفى رواية أنّه (ﷺ)، عند خروجه من مكة (دمعت عيناه، وخاطب مكة قائلا، والله إنك لخير أرض اللّه إلى اللّه، ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت). (أخرجه الترمذى وابن ماجه).

ولا يغيب عنا حب الأنصار لرسول اللّه (ﷺ) ، وخوفهم أن يترك وطنهم المدينة التى شرفها اللّه تعالى، بهجرته (ﷺ) ، وصحابته إليها، كما حازت شرف دفن عظام خير خلق اللّه عز وجل ، رسول اللّه خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) ، فى أحضان ترابها ، حيث هاجر إليها ومات بها ، ودفن فى ترابها ، الذى جعل اللّه تعالى منه بين قبر النبى (ﷺ) ، ومنبره روضة من رياض الجنّة.

نجد حينما فتح اللّه تعالى ، مكة للرسول (ﷺ) ، قال الأنصار فيما بينهم خوفاً من فراقه ، أترون رسول اللّه (ﷺ) ، إن فتح اللّه عليه مكة أرضه وبلده أن يقيم بها ، وكان (ﷺ) يدعو على الصفا ، رافعاً يديه ، فلما فرغ من دعائه

، قال : معاذ اللّه المحيا محياكم ، والممات مماتكم ، أى: أنه (ﷺ) ، سيعيش فى المدينة وعندما يموت سيدفن فيها . "أخرجه الإمام مسلم".

حب الوطن غاية الإنسان

من أسباب الهجرة للرسول (ﷺ) وصحابته ، وتركهم ديارهم وأهليهم، ووطنهم العزيز مكة ، أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا الغاية التى أمر اللّه تعالى بها رسوله (ﷺ) ، وهى عبادته وحده لا شريك له، ومن الثابت أن الغاية التى أوجد الحق تعالى الخلق من أجلها هى عبادة اللّه عز شأنه ، وعمارة الأرض ، وهما مقومات الخلافة التى خص الإنسان بها وتحدى الملائكة عند إيجاده فى قوله عز ثناؤه [وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة].

وأيضا تحقيق الحكمة التى من أجلها أوجد الحق سبحانه الخلق ، فى قوله عز شأنه [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن اللّه هوالرزاق ذو القوة المتين].

ولعلها حكمة إيجاد الخلق عامة ، والجن والإنس منهم خاصة ، إذن إنسان بغير وطن لا يستطيع أن يحقق الغاية التى وجد فى الحياة من أجلها، ولذا كان أشد إيذاء المشركين للرسول (ﷺ) ، والمسلمين وهم قلة آن ذاك هو منعهم من إقامة الدين وأول ركن منه هو الصلاة التى كانت تزعج المشركين لدلالتها على وحدة الصف والرأى والكلمة، وبقوة رابطتها تقوى شوكة المسلمين ، من أجل ذلك أمر اللّه رسوله (ﷺ) بالهجرة من مكة إلى المدينة ، وفى المدينة وبنصرة الأنصار ، تتحقق الغاية وهى إقامة الدين وثبوت العبادة للّه تعالى ، بأدائها فى أوقاتها ، والمسلم بفطرته يحب كل مكان يحقق فيه غايته ويتمكن فيه من الوصول إليها ، لأن تحقيق الغاية للإنسان هى تحقيق لذاته ، وحينما يحقق

الإنسان ذاته تتحقق سعادته ، وبتحقيق الذات والسعادة ، تتحقق عزة الإنسان حسنى وزيادة فهى ذروة شعور الإنسان بآدميته وإنسانيته ، ولذلك أحب الرسول (ﷺ) ، المدينة دار هجرته ، وأحب أهل المدينة لأنهم جزء من وطنه الجديد ، وهم الذين ناصروه فى دعوته ودينه ، وسمّاهم الأنصار ، وأوصى بهم خيراً ، وكان يدعو لهم كثيراً بقوله (ﷺ) [اللهم إغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار ، ولأبناء أبناء الأنصار] " رواه الإمام مسلم ".

ولا شك فى أن الإنسان بغير وطن ، يكون بغير وجود وبغير كيان، وبغير عزة ، فالوطن هو الكيان وهوالعزة والغاية والأمان. فإذا افتقد الإنسان المال ، يمكن أن يجده ، وقالوا فى الأمثال ، إن ضاع المال ممكن بجهد الرجال (تلاقيه) ، وإن ضاع الذهب فى سوق الذهب تلاقيه ، إلا الوطن إن ضاع ، ضاع الوجود بما فيه ، لذلك حافظ على وطنك وذرات ترابه ، وحقق آمالك وغاياتك فوق أرضه وتحت سمائه، وارع حقه وكل من خيراته، واستنشق عبير هواه واشرب عذب ماءه ، وأد واجبه وحافظ على ممتلكاته ومقدراته وإنجازاته ، والله أكبر ويحى الوطن حراً عزيزاً.

الوطن فى القلب

فى ليلة عصيبة فى حياة أهل مكة تجمع أربعون شاباً قوياً من مختلف قبائل العرب أمام بيت النبى (ﷺ) ، يريدون قتله قبل أن يهاجر إلى المدينة.

وكانت الشجاعة النادرة والتضحية الكبرى من الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، بأن نام فى فراش النبى (ﷺ) ، وخرج الرسول (ﷺ) أمام القوم بعد أن أعمى الله نعمة أبصارهم بالغشيان [فأغشيناهم فهم لا يبصرون]. وذهب إلى بيت أبى بكر رضى الله عنه، ليصاحبه فى رحلة الهجرة. وعندما

خرج الرسول (ﷺ) من مكة، نظر إليها ودمعت عيناه ، وخاطبها قائلا ، [واللّه إنك خير أرض اللّه إلى اللّه ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت] رواه الترمذى. وفى أثر: واللّه إنك لأحب الأماكن إلى ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت. ومن هذا نعلم أن فراق الوطن وهو مكة المكرمة لم يكن سهلاً على رسول اللّه (ﷺ) ، على الرغم من أن الهجرة إضطرارية ولفترة موقوتة، تثبت فيها الدعوة ويكثر المسلمون وتقوى شوكتهم ، يبكى النبى (ﷺ) لفراق مكة ، والحق تعالى يعلم حب نبيه الشديد لوطنه ، فيطمئنه ليذهب حزنه بقوله عز ثناؤه [إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد].

الوطن لا ينسى

من الثابت أن المهاجرين تأثروا لفراقهم مكة المكرمة ، تأثراً شديداً انعكس على نفوسهم وصحتهم ، فقد أصاب بلال بن رباح رضى اللّه عنه ألمٌ فى بطنه ، لمّا هاجر من مكة إلى المدينة ، فأخذ بلال يذكر مكة وطيب هوائها , مياه آبارها ، واخضرار زروعها وجمال ترتيبتها، وأنشأ شعراً فى مكة ، فلما سمعه الرسول (ﷺ) قال : [اللهم حبب إلينا المدينة كحب مكة أو أشد] " الإمام البخارى "

وقد أجيبت دعوة الرسول الخاتم (ﷺ) ، وأحب المهاجرون المدينة ، حبهم لمكة ، ومعاد هو اسم من اسماء مكة المكرمة.

وقد صدق اللّه تعالى رسوله الوعد الذى وعده بالعودة إلى مكة، وفتحها فتحاً مبيناً ، ونصره نصراً عزيزاً [إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ..] إلى قوله تعالى : [وينصرك الله نصراً عزيزاً].

إنه الحب الوافر والإنتماء الصادق للوطن ، ولا شك فى أن الوطن هوالعزة والرفعة والكرامة والعفة ، ورحم الله تعالى القائل: "وطنى وإن جار على عزيز،

وأهلى ، وإن جفونى كرام. فيا وطنى لك الهنا ، لك المنى ، لك العزة والسؤددا ، لك الروح والدما فدا".

ومن الثابت أن للوطن حنين أشد من حنين الأم لولدها ،أو حنين الولد لأمه عند من فارقوا الوطن فترات سواء كانت قليلة أو طويلة ، فهم يشتاقون إليه ويحنون إلى ذرات ترابه ، وعذوبة مائه ، ونقاء هوائه ، يضجرون أنيناً وحنيناً لفراقهم الوطن ، وقد وقفت عن كثب من كثير ممن سافروا للعمل بالخارج فوجدت أن هناك عدد كبير يقطع إعارته أو يلغى عقده ويقطع إجازته ويعود للوطن لأنه لم يحتمل فراق وطنه الذى يجمع أهله وأحبابه ، فهو ليس بالأمر السهل ، إذ أنه دم يجرى فى عروقه ونبضاة فى قلبه ، ونسمات فى أنفاسه.

وها هو أصيل الغفارى ، يأت ذات يوم من مكة قادما إلى المدينة، فقال له الرسول (ﷺ) ، يا أصيل ، كيف تركت مكة؟ فحدثه أصيل عن جمال مكة وطيب هوائها ورائحتها ، واخضرار زرعها ، فأثّر كلامه فى الرسول (ﷺ) وصحابته ، فتذكروا مكة وما بها ، فقال له الرسول (ﷺ) ،(يا أصيل دع القلوب تقر) " ابن حجر العسقلانى فى الإصابة "

وفيه ريح الحنين والشوق للوطن ، وألم وأنين لفراقه ، وكيف لا؟ وفيه كانت لهم أول صرخة ، وعلى ترابه أول خطوة ، ومن مائه شربوا أول قطرة ، ومن هوائه تنفسوا أول نسمة.

حب أوطان المسلمين

إن رابطة الدين الإسلامى هى التى تجعل كل شبر من أرض الإسلام وطناً كبيراً للمسلم ، فالمسلم فى أرضه التى ولد عليها وتربى بها وعاش فى

أحضانها ، تسمى وطنه الأم ، وفى بلاد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أينما وجد تسمى الوطن الكبير ، وانظر إلى طيب الهدى النبوى فى رسول الإنسانية جمعاء سيدنا محمد (ﷺ) [المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا وشبّك أصابعه] "متفق عليه".

وقوله (ﷺ) (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) "الإمام مسلم".

ومن الهدى النبوى الشريف أيضا قوله (ﷺ) ،(المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله) "رواه أبو داوود". دلالةً على أن أخوة الإسلام لا تقل عن أخوة النسب ، فهى أخوة الدين ، أخوة الإيمان التى أخبرنا الحق تعالى ، بصدق رابطتها فى قوله عز ثناؤه (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم).

والإصلاح بين الإخوة يكون شاملاً ، فى الأخلاق ، وفى المعاملات ، وفى السلوك ، وفى رد الحقوق ودفع الظلم ورد المظالم إلى أصحابها، ومن الإصلاح الصلح بين ذات البين عندما يقع الخلاف بين طائفتين من المسلمين ، تقوم طائفةً ثالثةً مسلمة بالصلح، بينهما فهو خلقٌ إسلامى، وشرع ربانى [وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما].

ويقول الشاعر، وطنى الإسلام لا أفدى سواه ، وبنوه أين كانوا إخوتى ، مصر والشام ونجد ورباه ، مع بغداد جميعا أمتى.

وحب المسلم لوطنه يمتد إلى كل مسلم على وجه الارض وإلى كل شبر يذكر فيه اسم اللّه تعالى، من كون اللّه الكبير وعلاقة المسلم بأهل وطنه وأوطان الإسلام، لا تقتصر على المسلمين فقط بل بكل من يعيشون مع المسلمين بأرض الإسلام فى وطن واحد فإن لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات ومعاملات ولو كانوا كافرين أو من أهل الكتاب ، ما داموا مسالمين لا يعادون الإسلام ولا يكيدون للمسلمين ، وانظر إلى طيب القول فى توجيه الحق

سبحانه ، فى بيان كيفية معاملة غير المسلمين الذين يعيشون فى أرض الإسلام ، قوله عز شأنه [وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه].

فكل من يعيش مع المسلمين فى وطن واحد له حق الحياة الكريمة ، مثل المسلم تماما ، دون تفريط فى الحقوق والأمن والأمان له ولأسرته وماله وولده ، ولو كان كافراً ، أو من أهل الكتاب ما دام لم يعاد الإسلام.

تعريف الإسلام

١) الإسلام: هو دين اللّه الحق للبشرية جمعاء ، لقوله تعالى [إن الدين عند الله الإسلام] وقوله جل ذكره [وأرسلناك للناس كافة].

٢) معنى الإسلام : هو أن المسلم يسلم أمره كله للّه تعالى ، مع الأخذ بالأسباب فى أمور الحياة الدنيا.

٣) دستور الإسلام : القرآن العظيم.

٤) دعوة الإسلام : الأصل فيها الحكمة والموعظة الحسنة ، لقوله جل وعلا : [أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة].

٥) منهج الإسلام : السماحة والرحمة ، لقول رسول اللّه (ﷺ) [ليعلم اليهود والنصارى أنّ فى ديننا فسحة فإنما بعثت بالحنيفية السمحة غداً يلتقى الأحبة محمد وصحبه].

٦) موضوع الإسلام : الأحكام والتكاليف الشرعية وتشمل الأمر والنهى والحقوق والحدود والفرائض ، والزجر والوعد والوعيد، والجزاء وهو نوعان : ثواب وعقاب .

٧) أساس الإسلام : العدل والإحسان ، ولقد قرر التنزيل صراحة حقيقة الأسس الإسلامية أنها مثل أخلاقية عليا في الحقوق والواجبات والمعاملات، قوله عز ذكره [إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون].

٨) قوام الإسلام : التعاون على البر والتقوى ، لقوله تعالى: [وتعاونوا على البر والتقوى].

٩) أصله : العقل الذى هو حد التكليف.

١٠) سلاحه : العلم والمعرفة لأنهما مفتاح الكشف عن أسرار الكون.

١١) حقيقته : تطبيق الأحكام وتأدية الفرائض وإقامة الأركان. وقد أكد التنزيل حقيقة الإسلام دينا ، وصدق بعثة محمد (ﷺ) رسولاً هادياً ونذيراً، وأن الله تعالى أظهر الإسلام على سائر الأديان قوله عز ذكره: (هو الذى أرسل رسوله[٢] بالهدى[٣] ودين الحق[٤] ليظهره على الدين كله). إذ بلغ الغاية فى الكمال لدقة وعظمة المشرّع الحكيم جل وعلا. فأتى بالمنهج قوى البنيان ، كامل الأركان ، غاية فى الدقة والبيان، فصّل كل شئ ، بين الحلال والحرام ، الهدى والضلال ، الكفر والإيمان، النور والظلام ، الشرك والتوحيد ، فرق بين الصغائر والكبائر ، بين الحقوق والواجبات ، البيوع والمعاملات ، الحدود والقصاص ، الزواج والطلاق والميراث ، وأرشد إلى الطريق المستقيم ، وتبارك المنزل : [ما فرطنا فى الكتاب من شئ].

ومما يؤكد عظمة الإسلام ديناً وتشريعاً، أن الحق تعالى قد رفع شأنه وأرسى قواعد رسالته السامية فوق كل الرسالات ، لأننا إذا أمعنا النظر بعناية

---

[٢] أرسل رسوله (محمد – صلى الله عليه وسلم)
[٣] الهدى – القران
[٤] الحق – الإسلام

فى حقيقة الأديان السابقة ، نجد أنها تتحد معه فى الدعوة إلى توحيد الله عــز شأنه ، لكنها تختلف كثيراً من حيث التطبيق المنهجى ، فنجــد فــى الأديــان السابقة مشروعية الجمع بين الأختين لرجل واحد فى آن واحد. كمــا نجـد أن زوجة الأب كانت تورث لابن الزوج بعد وفاة أبيه ، فيجعلونها ضمن ما تــرك أبوه من المتاع فينكحها الابن بالوراثة ، ويسمى فى هذه الحالة "ضــيزن"* أى ناكح زوجة أبيه ، فجاء الإسلام ناهياً محرماً هذه العادات والتقاليد التى تعبــث بقدسية الآباء وتمتهن كرامة المرأة ، فبعد أن كانت المرأة تورث أصبحت ترث ، وجاءت آيات التنزيل تنهى وتحرم الجمع بين الأختين قوله عز ذكــره: [وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف] آية ٢٣ - النساء.

وعن تحريم زوجة الأب على الابن قال جل وعلا: (ولا تنكحوا مــا نكــح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف) نفس الآية ٢٣ النساء.

كما توالت آيات التنزيل تفصل الميراث وتبين نصيب كل وارث ، ونصيــب الزوج فى زوجته مع الولد وعدم الولد ، وكذلك حقوق الوالدين والإخوة قولــه تعالى: [يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين]. آية ١١ - النساء.

وقوله جل ذكره: [ولكم نصف ما ترك أزواجكم]. الآية ٢١ - النساء

كما تضمنت آية المحرمات أربعة عشر نوعا من النساء منهن الجمع بيــن الأختين ، ونكاح زوجة الأب ، وهى الآية التى أشرنا إليها رقم ٢٣ - النساء ، كما حرم الخمر والميسر والموبقات عامة ، وأهم ما جاء به الإسلام الحنيــف ، هو إذابة الفوارق بين الطبقات ، كما قضى على التفاخر بالأحساب والأنســاب وطبقة الملوك والعبيد ، فقرر سبحانه ، أن الحد النسبى فى درجات التفــاضل بين الخلق ، هو التقوى ، فقال عز وجل [يا أيها الناس إنا خلقناكم مــن ذكــر

---

* ضيزن : أى جائر بمعنى الجور

وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند أتقاكم]. ولم يقل أغناكم أو أقواكم.

كما أكدت السنة المطهرة هذا المعنى الكريم قول الرسول (ﷺ) (أيها الناس ، إن ربكم لواحد ، وإن أباكم لواحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب). فالإسلام دين التسوية والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات والمعاملات ، لا فضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى. ومما يؤكد أن الإسلام هو دين الرحمة والسماحة ، طريقة التوبة فى الأمم السابقة مقارنة بأمة الإسلام ، نجد فى قوم موسى عليه السلام ، أن التوبة من الذنب كانت بقتل المذنب نفسه ، أى إذا أذنب شخص ذنبا تكون توبته بقتل نفسه ، دل على ذلك قول الحق تعالى : (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم).

أما فى ملة الإسلام ، نجد أن التوبة بصيغة الإستغفار التى هى: أستغفر الله العظيم ، وقد تكون التوبة بذكر الله تعالى وهو أعلى مراتب الإستغفار لقوله عز ذكره : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللّه فاستغفروا لذنوبهم). وقد أمر الرسول (ﷺ) الأمة بالتوبة بقوله: (أيها الناس توبوا إلى اللّه فإننى أتوب إليه كل يوم مائة مرة).

فجاءت صيغة الإستغفار للأمة ثلاث كلمات فى اللفظ إلا أنها تضمنت ثلاثة قرارات فى جوهرها، القرار الأول : معناه أتوب إليك يا رب وأرجع طمعاً فى رحمتك ، القرار الثانى: وأعاهدك أن لا أعود ، القرار الثالث : وهو الأهم ، وأندم على ما مضى وهو شرط للقبول.

ولقد أثبت التنزيل أن محمداً (ﷺ) رحمة اللّه للأمة قوله سبحانه (وما كان اللّه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللّه معذبهم وهم يستغفرون). فقد رفع الحق

تعالى العذاب عن هذه الأمة بشيئين: ١- وجود رسوله محمـد (ﷺ) فيـهم
٢- إستغفار المذنبين منهم لأنفسهم.

رسول الإسلام

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

ميلاده : ولد لأبوين من قريش هما عبد اللّه بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب ، عام الفيل.

نشأته : نشأ يتيماً إذ مات أبوه وأمه حامل به ستة أشهر، وماتت أمه وهو ابن ست سنين ، نشأ فى رعاية جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب من بعده.

عُرف محمد (ﷺ) منذ نشأته بالصدق والأمانة بين قومه ، ممـا جعلـهم يسمونه بالصادق الأمين . ولهاتين الصفتين يرجع الفضل فى حسم نزاع رفـع الحجر الأسود بين القبائل فى بناء الكعبة إذ قالوا نحتكم إلى أول داخل علينـا فكان هو محمدا (ﷺ) ، وهو شاب آن ذاك لم يبلغ ولم يبعث ، وبفطانة النبـوة وحكمة الأذكياء ، يقرر أن يضع الحجر الأسود فى ردائه ثم تـأخذ كـل قبيلـة بطرف منه ، وبهذا تكون كل القبائل قد ساهمت فى رفع الحجز وينتهى الـنزاع وتخمد نار الفتنة.

كان دائم النفور من عبادة الأصنام ، لم يسجد لصنم قط ، يفر إلـى غـار حراء يتعبد للّه وحده لا شريك له ، دائم النظر فى الملك والملكـوت يستشـعر عظمة الحى الذى لا يموت. يتعبد فى الغار سراً ، إلى أن بدت إرهاصات النبوة كإظلال الغمام له إلى نزول الوحى عليه (ﷺ).

وحارب العنصرية والعصبية القبلية والطوائف العرقية، ونبذ التفرقة في المعاملات والحقوق والواجبات بين بنى الجنس الآدمى الواحد ، وأكد القرآن العظيم دستور الإسلام القويم أن أصل الخليقة هو نفس واحدة هي آدم أبو الخليقة جمعاء عليه السلام فى قول الحق عز ثناؤه: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيراً ونساء) ، فلا تعالى بالأنساب ، ولا تفاخر بالأحساب ، فإن تفاخرالناس بالنسب ، فالأصل آدم والأم حواء. كما دعا رسول الإنسانية جمعاء إلى المساواة والعدل والرحمة ، والمودة والتآخى والرفق والسماحة، وأكد (ﷺ)، أنه لا ملوك ولا عبيد ، ولا عنصريةَ ولا تمييز ولا عبودية فى الإسلام إلا لمعبود واحد هو الله الخالق البارئ المصور المالك للكون ومن فيه الملك القدوس السلام ، فهو سبحانه الملك الحق والخلائق كلها له عبيد ، وأنهم سيحشرون يوم البعث بين يديه ، [إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا].

فهو سبحانه الملك المستحق للعبودية والطاعة وأن كل ما سواه باطل ملكه ، زائل عرشه . فقانون البشر جميعاً واحد ، أى أن البشر كلهم ينامون، يغفلون ، يجوعون ، يحتاجون ، يموتون ، وكل من نام وغفل وجاع واحتاج ومات ليس بملك ، فالملك الحق لا يعتريه شئ من هذه الصفات ، وهو اللّه وحده لا شريك له ، خالق كل شئ ، باسط الأرض ورافع السموات ، لا يحتاج سبحانه إلى أحد ، والخلائق كلها تحتاج إليه.

فبين (ﷺ) وأرشد بقوله: (يا أيها الناس ، إن ربكم لواحد ، وإن إباكم لواحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى). فقرر وحدانية الربوبية للّه وحده عز ثناؤه ، وقرر وحدة الأصل فى الخليقة ، وبين درجة التفاضل بين الناس أنها تكون بتقوى الله عز وجل وليست بأحساب ولا أنساب ولا ملوك ولا عبيد ، ولا باختلاف الألوان

١- حكمة البعثة المحمدية : تتممة مكارم الأخلاق ، لقوله (ﷺ) : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

٢- غاية البعثة : رحمة الله تعالى للعالمين ، لقوله عز ذكره : (وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين).

٣- هدف البعثة : (بيان المنهج الإسلامى). لقول الحق جل وعلا: (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحوم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم). فالهدف الأسمى لبعثة الحبيب المصطفى (ﷺ)، هو بيان ما فيه صلاح أمر الأمة بما يحقق لها الفوز فى الدارين الدنيا والآخرة.

الإسلام إنصاف للإنسانية

جاء الإسلام والبشرية تعيش فى ظلام ، تموج فى ظلمات الجهالة، وتتخبط فى بحار الطغيان والضلالة، تنعم بسئ الأفعال وردئ الصفات والأقوال ، والإنحطاط فى الأخلاق ، والعالم يشبه الغابة إذ لا منهج له ولا دستور ، وإنما يحكمه قانون الغابة الذى هو البقاء للأقوى ، فجاء الإسلام ، كامل الأركان ، قوى البنيان ، غاية فى الدقة والبيان ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وبين للناس ما فيه كريم حياتهم، وما فيه رفعتهم وإسعادهم ، ونهى وبين ما فيه شقاءهم وهلاكهم ، فبين الحرام والحلال ، وأرشد إلى الفضائل وطيب الأقوال والأفعال ، ونبذ الرذائل والخبائث وسوء الخصال ، وأذاب الفوارق بين الطبقات ، وقضى على طبقات الملوك والعبيد، وبين أن التفاضل بين الناس لا يكون إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

والصور، والتمييز العنصرى, وإنما [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفون إن أكرمكم عند الله أتقاكم].

ولا يغيب عن عاقل رشيد ما جاء به الإسلام من عظيم منهجيته ما رفع به قدر الإنسان وعلا شأنه وجعل قدسيته وعزته فوق كل عزة وقدسية وكرمه تكريماً ما بعد من تكريم، فقد حرم الموبقات ، وأين أنت الآن أيها المسلم والعاقل من غيرالمسلمين من وأد البنات ، وشرب الخمر والمسكرات وإباحة الزنا وانتهاك الحرمات ، ونكاح الأختين معا ، ناهيك عن الخدن فى الظلمات ، ونكاح زوجة الأب من الإبن بعد أبيه ، وما أكثر سئ العادات ، كل هذه الأفعال ، نبذها الإسلام الرشيد الحنيف وحرر منها العقول والأبدان ، وحرمها بمنهج سوى قويم ، بيَّن فيه الحلال والحرام ، والواجب والجائز ، والضار والنافع ، فى دستور واضح هوالقرآن العظيم ، فحرَّم وأد البنات تحريماً قطعياً وجعله جريمة كبرى لا تغتفر ، من يجرأ على فعلها جزاوه جنهم وبئس المصير (وإذا المؤدة سئلت بأى ذنب قتلت). كما حرَّم نكاح الأختين معا (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف).

وبعد أن كانت المرأة تورث فينكحها إبن زوجها بعد أبيه ، إذ كانوا إذا مات الأب ، ألقى الولد فوق زوجة أبيه عباءة ، فيعرف أهلها أنه استولى عليها من جملة ما ترك والده لينكحها وتصبح ميراثاً للإبن ، ويسمى ضيزن أى ناكح زوجة أبيه ، حررها الإسلام القويم وجعلها بعد أن كانت تورث هى بالجملة ، أصبحت ترث وحرم نكاحها فى قول الحق عز ثناؤه: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة).

وفى الميراث جعل لها الحق تعالى فى الإسلام نصيباً مفروضاً: (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) آية ١٢ : النساء.

إنها عظمة الإسلام وعظمة دقة تشريعه الذى قننه وحدده وفصله وبينه خالق الأرض والسماء ، فإنه دستور رب القدر عز شأنه ، ليس قانون وضعه البشر (فتبارك الله أحسن الخالقين) ، (أليس الله بأحكم الحاكمين).

علاقة المسلم بغير المسلمين

علاقة المسلم فى وطنه لا تقتصر على المسلمين بل بكل من يعيش مع المسلم فى وطن واحد له حقوق المسلم ولو كان كافرا ، أو ذمى ما دام لا يعادى الإسلام ، ولا يدعو لحربهم أو ضرهم ، فقد كان الرسول (ﷺ) يُحسن معاملة من لم يقاتله أو يعن عليه من هؤلاء الصنوف من أصحاب العقائد الأخرى ، وكان (ﷺ) يأمر ببرهم والوفاء لهم وقبول هديتهم ، وزيارة مرضاهم دليله فى ذلك قول الحق عز ثناؤه (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) ٨ : الممتحنة.

ولا ننسى إمام العدل الفاروق عمر بن الخطاب الذى بلغ فى عدله الذروة والكمال وكان رسول الله (ﷺ) يقول أكثروا من ذكر عمر فإن ذكره فيه العدل والعدل إسم من أسماء الله عز وجل ، سمى به نفسه وأمر به خلقه ، ونذكر من مواقف الفاروق عمر هذا الذى جمع بين الشدة والرحمة بدقة فى مقتضى العدل ورد الحقوق إلى أصحابها : والضرب بقوة على أيدى الطاغين والظالمين ، ونصرة الضعفاء ، وسد حاجة البؤساء والمحتاجين ورعاية الرعية بتقوى ربانية حتى ولو كانوا غير مسلمين ، وذات يوم مرّ الفاروق عمر بعجوز شيخ من أهل الذمة وهو يطلب الصدقة والمساعدة على أبواب المسجد فأمر له بصدقة دائمة من بيت مال المسلمين، وقال : ما أنصفناك كنا نأخذ منك الجزية

فى شبابك ، ثم ضيعناك فى كبرك. أنظر أيها المؤمن : أى رحمة هذه وأى عدل هذا ؟.

إنها رحمة الله تعالى التى أودعها قلب المؤمن الصادق الإيمان ، وعدل الإسلام الذى هو دين السلام وعقيدة الحب والمودة والوئام ، الذى يحرص على غرس الحب وتدعيم الود فى نفوس كل أبناء الوطن

حقوق غير المسلمين
فى أوطان المسلمين

أسس العلاقات - قواعد المعاملات

لقد أرسى رسول الإنسانية جمعاء ، نبى الرحمة ، سيدنا محمد (ﷺ) أسس العلاقات وقواعد وضوابط حدود المعاملات بين المسلمين وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات الأخرى الذين يعيشون جنباً إلى جنب مع المسلمين فى أوطان الإسلام.

نجد أربعة أسس هى نبراس المنهج وهداية الطريق ، وهى حدود العلاقات وبيان الواجبات فى الحقوق والمعاملات ، وهى :

١- صحيفة المدينة: وهى أول توجيه أرسل به النبى (ﷺ) إلى أهل المدينة بعد الهجرة ، بيّن فيها دعائم العلاقات ، وكيفية الحقوق فى المعاملات والواجبات .

٢- كتاب النبى (ﷺ) لأهل نجران.

٣- خطبة الوداع: وما اشتملت عليه من وصايا وإرشادات نبوية حكيمة.

٤-كتاب الفاروق عمر بن الخطاب لغير المسلمين فى بيت المقدس.

صحيفة المدينة

كانت صحيفة المدينة أول توجيه يصدره النبى (ﷺ) بعد الهجرة لأهل المدينة ، وضح فيه دعائم الإخوة التى تقوم بينهم فى مجتمعهم الجديد، وأنهم أمة واحدة أقر فيه اليهود على دينهم وأموالهم وعاهدهم على الحماية والنصرة وما أخلصوا للدولة الجديدة.

فقد كتب رسول اللّه (ﷺ) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبى(ﷺ) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم[6] يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم[7] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم[8] الأولى كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين: وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنوالحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جسم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنوالنجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين

[6] الربعة : الحال التى جاء الإسلام وهم عليها.
[7] العانى : الأسير
[8] المعاقل : الديات ، الواحدة معقلة.

ولنجران وحاشيتها[23] ذمة اللّه وذمة رسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه ولا واقها من وقيهاه[24] ولا راهبا من رهبانيته وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا[25]، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فالنصف بينهم بنجران ، على ألا يأكلوا الربا فمن أكل الربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم[26]، شهد بذلك عثمان بن عفان ومعيقب وكتب[27] ، ولقد حذا الخلفاء الراشدون والحكماء المسلمون حذو رسول الله (ﷺ) فى معاملة غير المسلمين.

فقد جاء بعد وفد نجران إلى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فكتب لهم:

بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما كتب به عبد اللّه أبو بكر خليفة محمد النبى (ﷺ) لأهل نجران أجارهم بجوار اللّه وذمة محمد النبى (ﷺ) على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته وفاء لهم لكل ما

[23] يعنى ما يتبعها من القرى والدساكور.

[24] قال ابن الأثير: هكذا يروى بالقاف وإنما هو بالفاء، والوافه القيم على البيت الذى فيه صليب النصارى.

[25] يحشروا يعنى يجلوا من أرضهم ، ويعشروا بمعنى تؤخذ منهم العشور.

[26] أنظر إلى تلك الوثيقة التى تفيض عدلا ورحمة وليس فيها عنف بقوم آثروا عبادة الصليب على عبادة الله عز وجل.

[27] كتاب الأموال للحافظ ابن سلام، ص ١٨٢، ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وأنّ المؤمنين لا يتركون مفرحاً[9] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل.

قال ابن هشام : المفرح المثقل بالدين والكثير العيال.

قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة ∴ وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأنّ المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دوسيعة[10] ظلم ، أو إثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأنّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر . ولا ينصر كافراً على مؤمن وأنّ ذمة اللّه واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأنّ المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن سالم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل اللّه إلا عن سواء وعدل بينهم ، وأنّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وأنّ المؤمنين يبيئ[11] بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل اللّه ، وأنّ المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وإنه لا يجير مشرك ما لا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على

---

[9] ويروى : "مفرجا" وهو بمعنى المفرح بالحاء المهملة.

[10] الدوسعية : العظيمة ، وهى فى الأصل : ما يخرج من حلق البعير إذا رغا وأراد بها هاهنا ما ينال منهم من ظلم.

[11] يبيئ : تتكافأ دماءهم.

مؤمن وإنه من اعتبط[12] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول وإن المؤمنين عليه كافة، ولايحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فأنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شئ فأنّ مرده إلى اللّه عز وجل وإلى محمد (ﷺ) ، وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأنّ يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع[13] إلا نفسه وأهل بيته وأنّ ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف، وأنّ ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وأنّ ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ! وأنّ ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف . وأنّ ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأنّ ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وأنّ ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهله وأنّ جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأنّ لبنىالشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأنّ البر دون الإثم وأنّ موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإأنّ بطانة[14] يهود كأنفسهم وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (ﷺ) ، وإنه لاينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فتيقة فتك وأهل بيته إلا من ظلم وأنّ اللّه على أبر هذا[15] وأنّ على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وأنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأنّ بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وأنّ لم يأثم أمرؤ بحليفه ، وأنّ النصر للمظلوم ، وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأنّ يثرب حرام جوفها

---

[12] اعتبط : أى قتله بلا جناية منه توجب قتله.
[13] يوقع : يهلك.
[14] بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته.
[15] على أبر هذا : أى على الرضا به.

لأهل هذه الصحيفة ، وأنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فأنّ مرده إلى اللّه عز وجل وإلى محمد رسول الله (ﷺ) ، وأنّ اللّه على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره[16] ، وأنّه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وأنّ بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وأنّهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فأنّه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين على كل أُناسٍ حصتهم من جانبهم الذى قبلهم وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض ؟ من أهل هذه الصحيفة.[17]

يقول الدكتور مصطفى السباعى:

هذه الصحيفة بينت دعائم المجتمع الجديد وأقر فيهـــا النبى (ﷺ) اليـــهود علـــى دينـــهم وأموالـــهم وعـــاهدهم علـــى الحمايـــة والنصـــــرة وقـــــــــد تضمنت المبادئ الآتية:-

* وحدة الأمة من غير تفرقة بين أبنائها.
* تساوى أبناء الأمة جميعاً فىالحقوق والكرامة يجير أدناهم على أعلاهم.
* تكاتف الأمة كلها دون الظلم والإثم والعدوان والفساد كائناً من كان الظـــالم والمفسد.
* اشتراك الأمة فى تقريرالعلاقات مع أعدائها لا يسالم مؤمن دون مؤمن.
* تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقواها.
* مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم.

---

[16] أى أناله وحزبه المؤمنين علىالرضا به.

[17] السيرة النبوية لابن هشام القسم الأول من ص ٥٠١ - ٥٠٤ ط أشور للطباعة والنشر

* حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالماً متعاوناً ، والامتناع عن ظلمهم والبغي عليهم.

* لغير المسلمين دينهم وأموالهم لا يجبرون على دين المسلمين ولا تؤخذ منهم أموالهم.

* على غير المسلمين – فى الدولة الإسلامية – أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر على كيان الدولة ضد كل عدوان ، وعليهم أن يشتركوا فى نفقات القتال ماداموا محاربين.

* على الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه.

* على المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم.

* إذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على جميع أبنائهم – مسلمين وغير مسلمين – أن يتقبلوا الصلح.

* لا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ولا يجنى جان إلا على نفسه.

* حرية الانتقال فى داخل الدولة وإلى خارجها مصونة بحماية الدولة، ولا حماية لآثم ولا لظالم.

* المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

هذه المبادى تحميها قوتان:

قوة معنوية : وهى إيمان الشعب بالله ومراقبته له ، ورعاية الله لمن بر ووفى.

قوة مادية : وهى رئاسة الدولة التى يمثلها محمد (ﷺ) .

ثم أخذ رسول الله (ﷺ) فى تنفيذ هذه المعاهدة فوثق الصلة بين غير المسلمين والمسلمين .. وفى وسط رمال الجزيرة العربية عاشت فى الدنيا لأول

مرة[1] عاصمة دولة لا تعرف الحقد ولا الاستئثار ولا البغى ولا الفجور ولا القسوة ولا موت الضمير.[18]

كتاب الرسول (ﷺ) لأهل نجران

الرسول (ﷺ) يصالح أهل نجران على شروط اشترطها عليهم واشترطوها هم لأنفسهم وكتب لهم بذلك هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبى رسول اللّه (ﷺ) لأهل نجران إذا كان له حكمه عليهم: إن فى كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وثمرة ورقيق وأفضل عليهم[19] وترك ذلك لهم : ألفى حلة ، وفى كل رجب ألف حلة ، كل حلة أوقية مازاد الخراج أو نقص فعلى الأواقى فليحسب وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب[20] وعلى أهل نجران مقرى رسلى[21] عشرين ليلة فما دونها وعليهم عارية ثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين درعاً إذا كان كيداً باليمن ذو مغدرة[22]، وما هلك مما أعاروا رسلى فهو ضامن على رسلى حتى يؤدوه إليهم.

---

[18] اشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعى ص ٢١٢-٢١٤ط الشعب ١٣٨١هـ-١٩٦٢ بتصرف.

[19] يعنى تفضل ومن عليهم بترك أموالهم بعد أن كان الحكم له عليهم.

[20] يعنى إذا قضوا ما عليهم من خراج من هذه الأشياء المذكورة تؤخذ منهم بحسابها.

[21] أى ضيافتهم وقراهم.

[22] يعنى إذا حصل غدر من أهل اليمن واحتاج المسلمون أن يستعيروا منهم هذه الأشياء للحرب فعليهم أن يعيروهم إياها ثم ترد إليهم بعدالحرب وإذا تلف منها شئ ضمنه المسلمون.

كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه لغير المسلمين فى بيت المقدس

كان من شأن الفاروق رضى اللّه عنه مع من صالحوه وعاهدوه أن يفى بعهدهم ويخلص فى الوفاء به إخلاص من يطالب نفسه به قبل أن يطالبوه، ومن يراقب نفسه فيه قبل أن يراقبوه ، يتجلى ذلك واضحاً فى الأمان والعهد الذى أعطاه لغير المسلمين فى بيت المقدس:

كتب للنصارى فى بيت المقدس أماناً على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وحان وقت الصلاة وهو جالس فى صحن كنيسة القيامة فخرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى على بابها بمفرده ، قال للبطرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا: هنا صلى عمر ثم كتب كتاباً يوصى به المسلمين ألا يصلى أحد منهم على الدرجة إلا واحداً واحداً غير مجتمعين للصلاة فيها ولا مؤذنين عليها.

أما عهده لهم فقد كان مثالاً من السماحة والمروءة لا يطمع فيه طامع من أهل حضارة من حضارات التاريخ كائنة ما كانت فكتب لهم العهد الذى قال فيه: "…. هذا ما أعطى عبد اللّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها: إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وأن يخرجوا منها الروم واللصوت[٣١] فمن خرج منهم فإنه آمن على

[٣١] اللصوت : أى اللصوص ، مفرده لصت.

نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروح ويخلى بيعهم وصلبهم [٣٢] فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.. وليس لذى عهد من ظافر أن يطمع فى أمان أكرم من هذا الأمان.

وإنه لقد كان يعطيهم عليه وعلى قومه هذه العهود ثم لا يقنع بها حتى يشفعها بالوصاة للولاة أن يمنعوا المسلمين من ظلم أهل الذمة ، وأن يوفى لهم بعهدهم وينضح [٣٣] عنهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم.[٣٤]

وعلى ضوء المنهج الإسلامى القويم ، الذى أرسى قواعده الرسول الكريم (ﷺ) ووضع ضوابط حدوده بدقة فى مقتضى العدل والحكمة فى احترام الإنسان وقدسية كرامته وحرمة ماله ودمه ، مهما اختلفت العقائد والأديان ، وكذا من سار على نهجه (ﷺ) كالفاروق عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ورحمته ، نتبيّن أنّ أسس العلاقات تبنى على أنّ غير المسلمين فى وطن الإسلام ، لهم مالنا وعليهم ما علينا، وأنّ قواعد المعاملات ، تُبنى على أنّ الدين لله تعالى، والوطن لجميع أبنائه دون تفريق أو تمييز فى الحقوق والواجبات والمعاملات تحت قاعدة [لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى].

ومن الحقوق التى كفلها الإسلام الحنيف لغير المسلمين الذين يعيشون فى أوطان الإسلام ، ورعاها بعناية وحزم وقدسية دون ما تفريط أو تهاون مع من يعبث بواحدة منها ، ما يلى:

١- حق الحياة   ٢- حق الأمن

---

[٣٢] البيع: جمع بيعة وهى معبد النصارى ، والصلب : جمع صليب.

[٣٣] ينضح عنهم : يدافع عنهم.

[٣٤] عبقرية عمر لعباس محمود العقاد ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ط الجهاز المركزى للكتب الجامعية سنة ١٣٩٩ هـ ، ١٩١٩م.

٣- حق الجوار ٤- حق التمليك

٥- حق التعلم والتعليم ٦- حق العمل

٧- حق الرعاية الاجتماعية

هذه أسس إسلامية ستة أقرها الإسلام وحرص عليها ، وسنورد لكل واحد منها فصلاً بالشرح والبيان بإذن اللّه تعالى ، وإليك بيانها:-

أولا : حق الحياة

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان على سائر مخلوقاته بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فالانسان هو صنعه الرب سبحانه وتسويته بيديه وفيه اودع سرة الكبير و هو نسمة الروح تلكم النفحة الربانية التى كلما تكون جنينا في بطن أمه سارت له نسمة جزئية من تلكم النمسة الكبرى التى لم تكرار وحتى يرث الحق الارض و من عليها وصدق الله اذ يقول (فاذا سويتة و نفخت له من روحى وقعوا له ساجدين) و بفضله سبحانه سخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، وجعله خليفة عنه ، وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادى وارتقاء روحيا. ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ويبلغ غاياته إلا إذا توافرت له جميع عناصر النمو وأخذ حقوقه كاملة وفى طليعة هذه الحقوق حق الحياة وهذا الحق و اجب للإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن لونه أو دينه أو جنسه أو مركزه الاجتماعى.[٣٥]

[٣٥] فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ٢ ، ص ٥٠٧ ط دار الكتاب العربى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

والشريعة الإسلامية كفلت للناس جميعا حق الحياة الحرة الكريمة، بحكم تساويهم فى النشأة الأولى قال جل وعلا : [وَهُو الَّذى أَنشأكُم من نَّفْسٍ وَاحِدَة فَمُستقرٌ فَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فصَّلْنا الآيات لِقَوْمٍ يفْقَهُون].[٣٦]

وقال جل شأنه: [يَا أَيُّها النَّاس اتَّقُوا ربَّكُمْ الَّذى خلقكم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخلق منها زَوْجها وَبَثَّ منهُما رِجالاً كثيرًا ونساءَ....][٣٧]

فالناس جميعاً من أصل واحد وهم جميعاً إخوة فى الإنسانية والله تعالى هو الذى وهبهم الحياة منذ نشأتهم الأولى.[٣٨]

والحياة منحة من الله تبارك وتعالى للإنسان ، لا يملك أحد انتزاعها بغير إرادة الله عز وجل دل على ذلك قوله سبحانه : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِى ونُميتُ وَإِلَيْنَا الْمصيرُ).[٣٩]

والعدوان على حياة فرد بدون حق عدوان على المجتمع كله ، والقصاص من الجانى المعتدى إحياء للمجتمع كله لقول الحق عز شأنه: (...أَنَّهُ مَن قَتَلَ نفْساً بغيْر نفْسٍ أَوْ فساد فى الأَرْضِ فَكأَنَّما قَتلَ النَّاسَ جَمِيعاً ومَنْ أحْياهَا فكأَنَّما أحيا النَّاسَ جميعاً..)[٤٠]

وقد أعطت الشريعة الإسلامية حق انتزاع الحياة من الأفراد للدولة وفقاً لمصلحة المجتمع وحماية لحياة الأفراد[٤١] وفى ذلك يقول القرآن الكريم : [وَلَكُمْ فى القصاصِ حياةٌ يا أولى الألبابِ لَعلَّكُمْ تتَّقُونَ][٤٢]

---

[٣٦] سورة الأنعام آية ٩٨.

[٣٧] سورة النساء أية ١.

[٣٨] صفوة التفاسير لمحمدم على الصابونى ، جـ ١ ص ٢٤٣.

[٣٩] سورة ق ، آية ٤٣.

[٤٠] سورة المائدة ، آية ٣٢.

[٤١] اشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعى ، ص ٥٥.

[٤٢] سورة البقرة آية ١٧٩.

وهذه العقوبة مقررة فى جميع الشرائع الإلهية المتقدمة ففى الشريعة الموسوية جاء بالفصل الحادى والعشرين من سفر الخروج: "أن من ضرب إنساناً فمات فليقتل قتلاً وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالاً فمن قدام مذبحى تأخذه ليقتل ، وإن حصلت إذية فأعط نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وجرحاً بجرح ورضاً برضا".

وفى الشريعة المسيحية يرى البعض أن قتل القاتل لم يكن من ميادئها مستدلين على ذلك بما ورد فى الإصحاح الخامس من إنجيل متى بقول عيسى عليه السلام : "ولا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الآخر أيضاً ومن رأى أن يخصامك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين". ويرى البعض الآخر أن الشريعة المسيحية عرفت عقوبة الإعدام مستدلاً على ذلك بما قاله عيسى عليه السلام : "ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأتمم.

وقد تأيد هذا بما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (مُصَدِّقاً لِمَا بيْنَ يدىَّ من التَّوْرَاةِ...)[٣]

وإلى هذا تشير الآية الكريمة : (وَكتبْنا عليْهِمْ فيها أنَّ النَّفْس بالنَّفْس والْعيْنَ بالْعيْنِ وَالأنف بالأنف وَالأُذُنَ بالإذُنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجرُوحَ قصاصٌ ..)[٤]

ولم تفرق الشريعة بين نفس ونفس فالقصاص حق سواء أكان المقتول كبيراً أم صغيراً رجلاً أم إمرأة فلكل حق الحياة ولا يحل التعرض لحياته بما يفسدها بأى وجه من الوجوه.[٥]

---

[٣] سورة الصف ، آية ٦.

[٤] سورة المائدة ، آية ٤٥.

[٥] فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ ٢ ص ٥١١ ، ٥١٢ ط.

ولقد نظر الإسلام نظرة خاصة إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواء أكانوا فى دار الإسلام أم خارجها فقد أباح مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم قال تعالى: [وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ...][٤٦]

هذه فى أهل الكتاب عامة أما النصارى منهم خاصة فقد وضعهم القرآن الكريم موضعاً قريباً من قلوب المسلمين فقال جل شأنه: (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)[٤٧]

والإسلام يوصى بأهل الكتاب خيراً أينما كانوا ، غير أن المقيمين فى ظل دولة الإسلام منهم لهم وضع خاص ، وهم الذين يسمون فى إصطلاح المسلمين باسم أهل الذمة والذمة معناها العهد ، وهى كلمة توحى بأن لهم عهد اللّه وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين وأن يعيشوا فى ظل الإسلام آمنين مطمئنين ، وهؤلاء مواطنون فى الدولة الإسلامية ، فقد أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة فإن الإسلام يتركهم وما يدينون ، وقد شدد النبى (ﷺ) فى الوصية بأهل الذمة وتوعد كل مخالف لهذه الوصايا بسخط اللـه وعذابه يؤيد هذا ما رواه الخطيب فى التاريخ يسند حسن عن ابن مسعود رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه (ﷺ) : "من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة".[٤٨]

---

[٤٦] سورة المائدة ، آية ٨٢

[٤٧] سورة المائدة آية ٨٢

[٤٨] الجامع الصغير فى شرح أحاديث البشير النذير للسيوطى جـ٢ ، ص ٥٤٧ ، ط.دار الفكر.

وروى الإمام البخارى بسنده عن عبد اللّه بن عمر وبن العاص رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه (ﷺ) قال: "من قتل معاهداً – ممن له عهد مع المسلمين – لم يرح رائحة الجنة وإنّ ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً".[49]

وروى الإمام النسائى بسنده عن رجل من أصحاب النبى (ﷺ) أن رسول اللّه (ﷺ) قال :"من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً" سكت عنه السيوطى.[50]

وروى الحافظ الهيثمى بسنده عن رجل عن النبى (ﷺ) أنه قال: "سيكون قوم لهم عهد فمن قتل رجلاً منهم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة تسعين عاماً" حديث صحيح.[51]

وقد جرى الخلفاء الراشدون على رعاية حق الحياة لهؤلاء، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فى كتاب له إلى عمرو ابن العاص أثناء ولايته على مصر :"إن معك أهل الذمة والعهد فاحذر يا عمرو أن يكون رسول اللّه خصمك"[52] وقد أكد الفقهاء على اختلاف مذاهبهم هذا الحق.

فقال شهاب الدين القرافى الفقيه المالكى" إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لأنهم فى جوارنا وفى خفارتنا وذمتنا وذمة اللّه تعالى وذمة رسول اللّه (ﷺ)، ودين الإسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم أو أى نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة اللّهِ وذمة رسوله (ﷺ) وذمة الإسلام وقال ابن حزم الظاهرى إن من كان فى الذمة وجاء أهل إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم

---

[49] فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر جـ ١٥ ص ٢٨٤ ط مصطفى البابى الحلبى.
[50] سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى ، جـ٢ ص ٢٥ ، ط مصطفى محمد
[51] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمى جـ ١٦ ص ٢٩٣ ط القدسى ١٣٥٣.،
[52] المساواة فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ، ص ٨٥ط ، دار المعارف.

بالسلاح ونموت دون ذلك صوناً لمن هو فى ذمة اللّه ورسوله (ﷺ) ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة.[53]

ولقد أتى برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فقامت عليه البينة فأمر على بقتله فجاء أخوه فقال: إنى قد عفوت فقال: فلعلهم هدّدوك وفرقوك قال: لا ولكن قتله لا يرد على أخى وعوضوا لى ورضيت قال: أنت أعلم من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا. وفى رواية أنه قال : إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا.

وقد صح أن عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه أنه كتب إلى بعض أمرائه فى مسلم قتل ذمياً فأمره أن يدفعه إلى وليه فإن شاء قتله وإن شاء عفا عنه فدفع إليه فضرب عنقه.[54]

ثانيا : حق الأمن

من عظيم ماشرعه الاسلام الحنيف في سمو رفعه تشريعة الالهىهو قدسية حياة الفرد و الحرص على سلامته وعدم ترويعة فجعل القصاص عقوبة زجرية رادعة لكل من تسول له نفسه الاعتداء على حياة الاخرين : فقال عز ثناؤه (ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب) كما جعل الامن حق مقدس لجميع أبناء الوطن مسلمين وغير مسلمين بغض النظر عن ما يعتنقه الأفراد من الديانات لأنّ الأصل فى الإسلام قدسية الإنسان وحرمة دمه واحترام آدميته.

وإذا طلب الأمان أى فرد من الأعداء المحاربين قُبلَ منه، وصار بذلك آمناً ، لا يجوز الاعتداء عليه بأى وجه من الوجوه يؤيد هذا ويوضحه قول اللّه

---

[53] الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٢٧٩ - ٢٨١ بتصرف ط دار التراث العربى الرابعة عشرة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

[54] غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٣ ، ط ، دار غريب الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٧٧م

سبحانه: (وإنْ أحدٌ مّن الْمُشْرِكين استَجارَكَ فأجِرْهُ حتَّى يسْمَع كلامَ اللّه ثُمَّ أبْلِغْهُ مأمنهُ ذَلكَ بِأنَّهُمْ قَوْمٌ لا يعْلَمُون).[55]

وهذا الحق ثابت للرجال والنساء والأحرار والعبيد ، فمن حق أى فرد من هؤلاء أن يؤمّن أى فرد من الأعداء يطلب الأمان ، ولا يمنع من هذا الحق أحد من المسلمين إلا الصبيان والمجانين. فإذا أمن صبى أو مجنون أحداً من الأعداء فإنه لا يصح أمان واحد منهما.[56]

ولهذا أمر اللّه سبحانه النبى الكريم (ﷺ) أن يستجيب لدعوة من يدعوه إلى طلب الأمان فى جواره ، وذلك حتى يسمع كلام اللّه ، أى حتى يسمع ما نزل على النبى من قرآن يقرر أصول الإسلام ، وأحكام شريعته ، ثم إن لهذا المستأمن أن يطلب النظرة إلى الوقت الذى يسمح له بالنظر والتدبر فيما سمع من كلام اللّه، وأن يجاب إلى هذا ، حتى ينقطع عذره وتقوم عليه الحجة.

فإن وجد فيما سمع ووعى من كلام اللّه ما يدعوه إلى الإيمان ثم آمن، فهو من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم.

وإن أصم اللّه سمعه ، وأعمى بصره ، وحجب بصيرته ، فلم تنفذ شعاعات الهدى إلى قلبه، وآثر الضلال على الإيمان، واستحب العمى على الهدى ، فإن له ما اختار.

لا سلطان لأحد عليه ، ولا سبيل لأحد أن يناله بضر أو أذى فهو الآن فى ذمة النبى وذمة المؤمنين جميعا، وعلى النبى – صلوات الله وسلامه عليه – أن يضمن سلامته ، وأن يكفل له الأمن والطمأنينه ما دام فى رحاب المسلمين .. ثم إن أراد النبى أو رغب هو فى أن يلحق بأهله ، أجيب إلى هذا ، ووكل به النبى من المسلمين من يقوم على حراسته ، وسلامته حتى يبلغ مأمنه أى المكان الذى يجد فيه الأمن بين أهله وعشيرته.[57]

---

[55] سورة التوبة ، الآية ٦.

[56] فقه السنة للشيخ السيد سابق ، جـ٢ ، ص ٦٩٤ بتصرف

[57] التفسير القرآنى للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، جـ ١٠ ، ص ٧٠٥

سبحانه: (وإنْ أحدٌ مِّنَ الْمُشْرِكين اسْتَجارَكَ فأَجِرْهُ حتّى يسمع كلامَ اللّه ثُمَّ أبْلِغْهُ مأمنهُ ذلكَ بأنّهُمْ قومٌ لا يعلمُون).[55]

وهذا الحق ثابت للرجال والنساء والأحرار والعبيد ، فمن حق أى فرد من هؤلاء أن يؤمّن أى فرد من الأعداء يطلب الأمان ، ولا يمنع من هذا الحق أحد من المسلمين إلا الصبيان والمجانين. فإذا أمن صبى أو مجنون أحداً من الأعداء فإنه لا يصح أمان واحد منهما.[56]

ولهذا أمر اللّه سبحانه النبى الكريم (ﷺ) أن يستجيب لدعوة من يدعوه إلى طلب الأمان فى جواره ، وذلك حتى يسمع كلام اللّه ، أى حتى يسمع ما نزل على النبى من قرآن يقرر أصول الإسلام ، وأحكام شريعته ، ثم إن لهذا المستأمن أن يطلب النظرة إلى الوقت الذى يسمح له بالنظر والتدبر فيما سمع من كلام اللّه، وأن يجاب إلى هذا ، حتى ينقطع عذره وتقوم عليه الحجة.

فإن وجد فيما سمع ووعى من كلام اللّه ما يدعوه إلى الإيمان ثم آمن، فهو من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم.

وإن أصم اللّه سمعه ، وأعمى بصره ، وحجب بصيرته ، فلم تنفذ شعاعات الهدى إلى قلبه، وآثر الضلال على الإيمان، واستحب العمى على الهدى ، فإن له ما اختار.

لا سلطان لأحد عليه ، ولا سبيل لأحد أن يناله بضر أو أذى فهو الآن فى ذمة النبى وذمة المؤمنين جميعا، وعلى النبى – صلوات الله وسلامه عليه – أن يضمن سلامته ، وأن يكفل له الأمن والطمأنينه ما دام فى رحاب المسلمين .. ثم إن أراد النبى أو رغب هو فى أن يلحق بأهله ، أجيب إلى هذا ، ووكل به النبى من المسلمين من يقوم على حراسته ، وسلامته حتى يبلغ مأمنه أى المكان الذى يجد فيه الأمن بين أهله وعشيرته.[57]

---

[55] سورة التوبة ، الآية ٦.

[56] فقه السنة للشيخ السيد سابق ، جـ٢ ، ص ٦٩٤ بتصرف

[57] التفسير القرآنى للقران ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربى ، جـ ١٠ ، ص ٧٠٥

ومهما تقرر الأمان بالعبارة أو الإشارة ، فإنه لا يجوز الاعتداء على المؤمن ، لأنه بإعطاء الأمان له عصم نفسه من أن تزهق ورقبته من أن تسترق.

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه بلغه أن بعض المجاهدين قال لمحارب من الفرس: "لا تخف ، ثم قتله" فكتب رضى الله عنه إلى قائد الجيش: أنه بلغنى أن رجالاً منكم يطلبون العلج حتى إذا اشتد فى الجبل وامتنع، يقول له ، لا تخف ، فإذا أدركه قتله! وإنى والذى نفسى بيده لا يبلغنى أن أحداً فعل ذلك إلا قطعت عنقه.

وعن النبى صلى اللّه عليه وسلم قال: (من أمّن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً) . رواه البخارى فى التاريخ وسكت عنه السيوطى[٥٨]. وقال صلى الله عليه وسلم (لكل غدر لواء يعرف به يوم القيامة[٥٩]) متفق عليه.

ويتقرر حق الأمان بمجرد إعطائه ، ويعتبر نافذاً من وقت صدوره إلا أنه لا يقر نهائياً إلا بإقرار الحاكم ، أو قائد الجيش .

وإذا تقرر الأمان وأقر من الحاكم أو الجيش ، صار المؤمن من أهل الذمة ، وأصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

ولا يجوز إلغاء أمانه إلا إذا ثبت أنه أراد أن يستغل هذا الحق فى إيقاع الضرر بالمسلمين : كأن يكون جاسوسا لقومه ، أو عيناً على المسلمين.

والرسول مثل المؤمّن ، سواء أكان يحمل الرسائل ، أو يمشى بين الفريقين المتقاتلين بالصلح ، أو يحاول وقف القتال لفترة يتيسر فيها نقل الجرحى والقتلى.

---

[٥٨] جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير للسيوطى جـ ٦ ص ١٢١.

[٥٩] زاد المسلم جـ٢ ص٥٢ فيما اتفق عليه البخارى ومسلم للشنقيطى مطبعة مصر سنة ١٩٥٥.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لرسولى مسيلمة: (لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)[60] رواه الطبرانى فى الكبير.

وأوفدت قريش أبا رافع إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلمّ ، فوقع الإيمان فى قلبه ، فقال : يا رسول الله لا أرجع إليهم ، وأبقى معكم مسلماً ، فقال رسول اللّه (ﷺ): "إنى لا أخيس بالعهد ، ولا أحبس البرد فارجع إليهم آمنا. فإن وجدت بعد ذلك فى قلبك ما فيه الآن ، فارجع إلينا" حديث صحيح رواه الإمام أحمد.[61]

وفى كتاب الخراج لأبى يوسف والسير الكبير : أنه إن اشترط للرسول شروط وجب على المسلمين أن يوفوا بها ، ولا يصح لهم أن يغدروا برسل العدو ، حتى ولو قتل الكفار رهائن المسلمين عندهم ، فلا تقتل رسلهم[62]

ثالثا : حق الجوار

لقد إهتم القرآن العظيم والسنة المطهرة بحقوق الجار إهتماماً عظيماً، فوضع حقوق الجار مع حق الله عز وجل وحق الوالدين ، كما أظهرت السُنة النبوية الشريفة لنا أن جبريل عليه السلام ما زال يوصى النبى (ﷺ) بحقوق الجار حتى ظن النبى (ﷺ) أن اللّه سبحان وتعالى سيجعل الجار وارثا من شدة التأكيد على حقوقه.

وانظر إلى طيب القول فى القرآن العظيم فيما قرره الحق تعالى، من الوصايا الربانية فى حقوق الجار : (وَاعْبُدُوا اللّه وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى والْمساكين والْجارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجارِ

[60] جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير للسيوطى جـ٥ ص ٤٠٢
[61] الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد الشيبانى جـ ١٤ ص ١١٨ الأولى سنة ١٣٥٨هـ
[62] فقه السنة للشيخ السيد سابق جـ٢ صـ ٦٩٧.

الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً).[63]

فالجار ضرب من ضروب القرابة فهو قرب بالمكان والسكن وقد يأنس الإنسان بجاره القريب أكثر مما يأنس بالنسيب فيحسن أن يتعاون الجاران ويكون بينهما الرحمة والإحسان، فإذا لم يحسن أحدهما إلى الآخر فلا خير فيهما لسائر الناس ، وقد حث الدين على الإحسان فى معاملة الجار. ولو غير مسلم وإكرام الجار من شيم العرب قبل اتلإسلام وزارده الإسلام توكيداً بما جاء فى الكتاب والسنة، ومن إكرامه إرسال الهدايا إليه ودعوته إلى الطعام وتعاهده بالزيارة والعيادة إلى نحو ذلك.[64]

وقال عوف الشامى: "الجار ذى القربى" المسلم . "والجار الجنب" اليهودى والنصرانى. وعلى هذا فالوصاية بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلماً كان أو كافراً وهو الصحيح.[65]

وقال أبن أبى جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان ويحصل إمتثال الوصية بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه ، وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك وكف أسباب الأذى عنه حسية كانت أو معنوية على إختلاف أنواعه . حتى ظن النبى (ﷺ) وأنّه "سيورثه" أى يأمر بتوريث الجار من جاره بأن يجعله مشاركاً فى المال مع الأقارب بسهم يعطاه مسلماً كان أو كافراً عابداً أو فاسقاً صديقاً أو محايداً غريبا أو بلدياً ديم النفع أو نافعاً، قريباً أو أجنبياً قريب الدار أو بعيدها، ومن حق الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه.

[63] سورة النساء ، أية ٣٦.
[64] تفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى جـ ٥ ص ٣٦ ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧٣ ﮬ ت ١٩٥٣م.
[65] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٥ ص ١٨٣ ، ١٨٤ ط دار الكتاب العربى سنة ١٣٨٧.

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى (ﷺ) قال: "(مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[٦٦] حديث صحيح رواه البخارى فى الأدب المفرد.

من أنواع إكرام الجار:

إن إكرام الجار لا يقف عند نوع معين من أنواع الإكرام لأن هذه الأنواع تختلف باختلاف الجيران والمناسبات وحالة كل جار، وما ينزل بالجار من أحداث الزمان. كما يختلف باختلاف المكرم من فقر وغنى ويسار وإعسار وقرابة وبعد ... إلخ. والجامع للإكرام أن ترجو لجارك الخير وتقدم له ما استطعت من معروف وأن تمنع عنه الأذى أياً كان نوعه، مثل ما ترجوه لنفسك تماماً وهو أصل الإيمان وثمرة صحته.

قال مجاهد: كنت عند عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما وغلام له يسلخ شاة ، فقال : يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مراراً ، فقال له: لم تقول هذا ، قال: إن رسول اللّه (ﷺ) قال: (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) . حديث صحيح رواه البخارى فى الأدب المفرد.

وقال الإمام الغزالى: وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر السؤال عن حاله لأن ذلك قد يحرجه ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ويظهر المشاركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عورته ولا يضايقه فى وضع الجذع على داره ولا يصب الماء أمام داره ويستر ما ينكشف له من عيوبه وأخطائه .

[٦٦] فضل الله الصمد فى توضيح الأدب المفرد للإمام البخارى للعلامة فضل الله الجيلانى جـ ١ ص ١٧٩.

قال العلماء: الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق.

فالجار الذى له ثلاثة حقوق : هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك وجاء فى ذلك حديث لكنه ضعيف وعلى هذا فللجار الكافر مهما كان كفره حق الجوار فى الإحسان إليه وترك إيذائه.

وقال ابن حجر فى فتح البارى شرح البخارى: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والبلدى - والغريب والنافع والضار والقريب والأجنبى والأقرب داراً والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها ثم أكثرها " يأتى فى المرتبة الثانية" ثم أقلها وهكذا.[٦٧]

رابعا : حق التمليك

لقد أقر الإسلام الحنيف حق الملكية الفردية وذلل أمام الفرد سبل التملك والحصول على المال ، ويٌعطى كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ويفسح المجال أمام المنافسة والعمل على التفوق وبذلك يٍحقق تكافؤ الفرص بين الناس من هذه الميادين. [٦٨]

وحين يقرر الإسلام لكل إنسان حق التملك فى جو الحياة الحرة الكريمة، يندفع الناس إلى العمل ليكسبوا ما به قوام حياتهم ومعيشتهم لا يوصد باب العمل دون واحد منهم ولا تستأثر بخيرات الدنيا فئة منهم. لكل إنسان منهم بحسب طاقته وجهده وكفاءته يقول الحق تبارك وتعالى : [وأن لَّيْس للإِنسان

---

[٦٧] السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب صـ ٢٨٢ ، ٢٨٣ ط الهدى ، الكويت.

[٦٨] المساواة فى الإسلام للدكتور / على عبد الواحد وافى ص ٧٦.

إلاَّ ما سعى][69] فإذا حاز شيئاً منها كانت هذه الحيازة حقاً لا ينازع فيه ولا يغلب عليه.[70]

واتفقت كلمة المذاهب الإسلامية على أن أولئك الذين لم يؤمنوا بالإسلام ، وإنما صالحوا الدولة الإسلامية وعاشوا فى كنفها وظل قوانينها، يجب على المسلمين أن يحترموا ما صالحوهم عليه فلا يلزموهم بأكثر منه.

قال أبو عبيد: إن السنة فى أرض الصلح أن لا يزاد على وظيفتها التى صولحوا عليها ، وإن قووا على أكثر من ذلك.

وفى زمن عمر رضى الله عنه فتح المسلمون أراضى كثيرة وكان لابد من تحديد وضع الأراضى المفتوحة : أتبقى في يد أهلها، أم تقسم على الغانمين أم توقف على المسلمين جميعا؟

وقد إهتم عمر رضى الله عنه والمسلمون عامة بهذا الأمر ، وأخذوا يتدارسونه من كل زواياه فظهر لهم أن الأرض لو قسمت على الغانمين وهم الذين لم يتودوا الزراعة والعناية بالأرض ، لابد أن يضعف إنتاجها وتقل مواردها وينشغل المقاتلون بالزراعة والعناية بالأرض ، ويتركوا الجهاد والدفاع عن البلاد.

لذلك كله كان رأى عمر رضى الله عنه إلا تقسم الأرض بين الغانمين.

وقد ذكر أبو يوسف فى كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب قد شاور المسلمين فى قسمة الأراضى التى أفاءها اللّه على المسلمين من أرض العراق والشام وعرض للحجج التى قدمها عمر ومن وافقه من الصحابة دعماً لرأيهم فى عدم قسمة هذه الأراضى على الغانمين، ومما ذكر فى هذا الصدد:

..... فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت؟ ما هذا برأى .. فقال له عبد الرحمن بن عوف

---

[69] سورة النجم ، أية ٣٩.

[70] اشتراكية الإسلام للدكتور / مصطفى السباعى ص ١٢٩.

رضى الله عنه: فما الرأى ؟ ما الأرض والعلوج[٧١] إلا مما أفاء اللّه عليهم. فقال عمر رضى اللّه عنه : ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، واللّه لا يفتح بعدى بلد فيكون فيه كبير نبيل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور ، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ؟ فأكثروا على عمر رضى الله تعاله عنه وقالوا: أتقف ما أفاء اللّه علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟ فكان عمر رضى اللّه عنه لا يزيد على أن يقول: هذا رأآ .. قالوا : فاستشر قال: فاستشار المهاجرين الأولين ، فاختلفوا.

فأما عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم.

ورأى عثمان وعلى وطلحة وابن عمر رضى اللّه عنهم رأى عمر.

فأرسل إلى عشرة من الأنصار، خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج، من كبرائهم وأشرافهم.. فلما اجتمعوا حمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

إنى لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا فى أمانتى فيما حملت من أموركم ، فإنى واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرون بالحق ، خالفنى من خالفنى ، ووافقنى من وافقنى ، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذى هو هواى ، معكم من اللّه كتاب ينطق بالحق فو اللّه لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق. قالوا: قل نسمع يا أمير المؤمنين ، قال: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنى أظلمهم حقوقهم وإنى أعوذ باللّه أن أركب ظلماً ، لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعكيته غيرهم لقد شقيت.

---

[٧١] العلوج : أهل هذه الأرض من الكفار.

ولكن رأيت أنه لم يبق شئ يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله و أخرجت الخمس فوجهته على وجه وأنا فى توجيهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفى رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فينا للمسلمين. المقاتلة والذرية ولمن يأتى من بعدهم .. أرأيتم هذه الثغور؟ لابد لها من رجال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لابد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم.. فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج؟ فقالوا جميعاً : الرأى رأيك فنعم ما قلت وما رأيت ، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجرى عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم."[72]

ولا يكتفى الإسلام بإقرار الملكية الفردية وتيسير سبل الحصول عليها بل يحيطها كذلك بسياج قوى من الحماية كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والأخروية التى يقررها لمختلف أنواع الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الأرض.

فيقرر الإسلام عقوبة قطع اليد فى السرقة ، قال تعالى: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ].[73] ولم يسشدد الرسول عليه الصلاة والسلام فى تنفيذ حد مقدار تشدده فى تنفيذ حد السرقة فقد جاءه مرة أسامة بن زيد - وكان من أحب الناس إليه - يشفع فى فاطمة بنت الأود المخزومية وكان قد وجب عليها حد السرقة لسرقتها قطيفة وحلياً فأنكر الرسول (ﷺ) شفاعة أسامة على حبه له وانتهره قائلاً :" أتشفع فى حد من حدود الله" ؟ ثم قام فخطب الناس فقال :"إنما أهلك الذين من

[72] الملكية فى الشريعة الإسلامية للدكتور / عبد السلام داود العبادى القسم الأول ص ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ط ، الأقصى . عمان.
[73] صورة المائدة ، أية ٣٨.

قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

وفى سبيل حماية الملكية الفردية يجيز الإسلام للمالك أن يدفع عن ملكه بكل وسائل الدفاع حتى لو ألجأه ذلك إلى قتل المعتدى وفى هذه الحالة لا قصاص عليه. بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين تهمة إلى ملكية الغير[٧٤] وفى هذا يقول الله تعالى : [وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مامتَّعْنا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زهرةَ الْحياىِ الدُّنْيا].[٧٥] غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً ، ويغض بصره عن جريمة ، ولا يديم النظر إلى خصوصياته ويتلطف مع أولاده فى الكلام ، ويرشدهم إلى ما يجهلونه من أمور الدين. ولغير المسلمين جميع الحقوق التى هى لعامة المسلمين.[٧٦]

---

[٧٤] المساواة فى الإسلام للدكتور عبد الواحد وافى ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ .

[٧٥] سورد طه ، أية ١٣١.

[٧٦] السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ط المدى ، الكويت.

والعقوبات الدنيوية والأخروية التى يقررها لمختلف أنـواع الاعتـداء علـى الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الأرض.

فيقرر الإسلام عقوبة قطع اليد فى السرقة ، قـال تعـالى: (وَالسَّـارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيـمٌ].[1] ولم يتشدد الرسول عليه الصلاة والسلام فى تنفيذ حد مقدار تشدده فى تنفيـذ حد السرقة فقد جاءه مرة أسامة بن زيد – وكان من أحـب النـاس إليـه – يشفع فى فاطمة بنت الأود المخزومية وكان قد وجب عليـها حـد السـرقة لسرقتها قطيفة وحلياً فأنكر الرسول (ﷺ) شفاعة أسامة على حبه له وانتهره قائلاً :" أتشفع فى حد من حدود الله" ؟ ثم قام فخطب الناس فقال :"إنما أهلـك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سـرق الضعيـف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

وفى سبيل حماية الملكية الفردية يجيز الإسلام للمالك أن يدفع عن ملكـه بكل وسائل الدفاع حتى لو ألجأه ذلك إلى قتل المعتدى وفى هـذه الحالـة لا قصاص عليه. بل إن الإسلام لينهى عن مجرد النظر بعين تهمة إلـى ملكيـة الغير[2] وفى هذا يقول الله تعالى : [وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَامَتَّعْنَا بِـهِ أَزْوَاجًـا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا].[3] غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً ، ويغض بصره عن جريمة ، ولا يديم النظر إلى خصوصياته ويتلطف مـع أولاده فـى الكـلام ، ويرشدهم إلى ما يجهلونه من أمور الدين. ولغير المسلمين جميـع الحقـوق التى هى لعامة المسلمين.[4]

---

[1] صورة المائدة ، أية ٣٨.
[2] المساواة فى الإسلام للدكتور عبد الواحد وافى ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ .
[3] سورد طه ، أية ١٣١.
[4] السلوك الاجتماعى فى الإسلام للشيخ حسن أيوب ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ط الهدى ، الكويت.

خامسا :حق التعليم والتعلم

١- من أهم ما أقره الإسلام الحنيف فى منهجيته السامية حق غير المسلمين فى تعليم أبناء المسلمين ، فى أوطان الإسلام ، كما أقر حق تعلمهم فى مدارس المسلمين. فحق التعليم والتعلم مكفول لجميع أبناء الوطن بالتساوى دون تمييز أو تفرقة.

٢- كما أقر الإسلام فى تشريعه القويم حق غير المسلمين فى إنشاء بيوت العلم (المدارس) على اختلاف صنوفها والتعليم والتعلم بها، ما دامت قائمة على العلم والتنوير فى شتى فروع العلوم والمعرفة دون قيد أو شرط، مادامت لا تدعو إلى فتنة أو أفكار هدّامة.

٣- إهتمام الخلفاء فى بلاد الإسلام بالعلماء غير المسلمين ، لأنّ الأصل فى الإسلام ، العدل والمساواة ونبذ العنصرية ، وإذابة الفوارق بين الطبقات ، دليل المسلمين وقدوتهم فى هذا المنهج ، ما أقره رسول الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) فى حجة الوداع قوله (أيها الناس ، إنّ ربكم لواحد ، وإنْ إياكم لواحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب) وفيه التأكيد على وحدة الأصل الإنسانية مهما اختلفت العقائد.

* *بيت المدارس* :

كان لليهود العرب فى أرض الحجاز مواضع وأماكن يتدارسون فيها ويتعلمون حيث يعلمهم رجال دينهم من الأحبار أحكام الشريعة اليهودية ويقصون عليهم أيامهم الماضية وأخبار الرسال والأنبياء قبلهم ويفسرون لهم ما جاء فى التوراة وذلك لتوعيتهم بأصول دينهم ونقل تراث أجدادهم وعرفت أماكن تعليمهم فى الجاهلية باسم بيت المدارس وهذه الأماكن أو المعاهد

التعليمية اليهودية تقابل المعهد التعليمى للعرب الوثنيين فى الجاهلية والـذى عرف باسم جدار الندوة وقد اعترف النبى (ﷺ) بهذه المعاهد اليهودية ولـم يعترض على اتخاذها أماكن للدراسة.[٥]

إهتمام الخلفاء بالعلماء غير المسلمين:

إهتم الخلفاء على مر العصور بالعلم والعلماء من كل ملة ، ولقد بلغ من الحظوة عند الخلفاء علماء من أهل الملل غير المسلمة وفوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورقوهم إلى المناصب المختلفة فى الدولة ، وهذه نماذج لبعض العلماء:

١- حنامسنيه:

وصل إلى أرقى المناصب فى عصر هارون الرشيد حتى أن جميع المدارس وضعت تحت مراقبته.[٦]

٢- جيورجيس بن بختيشوع:

طبيب المنصور كان فيلسوفاً كبيراً علت منزلته عند المنصور فأعلى مكانته حتى على وزرائه ولما مرض أمر المنصور بحمله إلى دار العامة وخرج ماشياً يسأل عن حاله و حينما طلب من الخليفة أن يعود إلى بلده ليدفن فيه مع آبائه وأجداده أمر بتجهيزه ، ومنحه عشرة آلاف دينار وأوصى من معه بحمله إذا مات فى الطريق إلى مدافن آبائه كما طلب.

٣- نوبخت المنجم وولده أبو سهل:

---

[٥] نظرية التربية فى القرآن وتطبيقاتها فى عهد الرسول للدكتورة (أمينة أحمد حسن) ص ١٣٤ ط ، دار المعارف الأولى ١٩٨٥م

[٦] من سماحة الإسلام إعداد المكتب الفنى لنشر الدعوة ص ١٠٢ ط الأوقاف سنة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م

هما من أصل فارسي ، ويتبعان مذهب الفرس حظياً بمنكانة عالية عند المنصور ثم كان لأبى سهل ذرية مسلمة وكانوا جميعاً منجمين ولهم شهرة عظيمة فى علوم الكواكب.

٤- تيوفيل بن توما النصرانى:

كان على مذهب الموارنة من سكان لبنان وحظى بمكانة عالية عند الخليفة المهدى ، وكان منجماً وله كتب فى التاريخ ، ونقل كتاب أميروس إلى السريانية.

٥- بختيشوع الطبيب:

كان نصرانياً سريانياً ، ولاّه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها ، وخدم الرشيد ومن بعده إلى المتوكل وارتفع شأنه عند الخليفة هارون الرشيد.

٦- يوحنا البطريق:

مولى المأمون علا قدره فى زمنه وأقامه أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب وغيرها.

٧- سهل بن سايور:

كان نصرانياً تولى بيمارستان جند نيسابور.

٨- حنين بن إسحاق النصرانى:

اشتهر أيام المتوكل ، وكان من أشهر المترجمين لكتب أرسطو وغيره وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة فى زمن المأمون.

٩- متى بن يونس المنطقى النصرانى:

كان متفننا فى جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الفارابى وانتهت إليه الرئاسة فى بغداد.

ومن هنا يتضح لجميع الناس على إختلاف مللهم ونحلهم مدى إهتمام الإسلام بالعلم والعلماء والحكماء وسعة صدره للغريب و القريب على السواء

دون تمييز ولا تفريق فالكل يوزن بميزان واحد. هو ميزان العلم والحكمة ، ولقد طبق السلف الصالح ذلك عملياً شهد بهذا التاريخ العدو قبل الصديق.

سادسا: حق العمل

١- العمل حق مكفول لكل فرد من أبناء الوطن دون النظر إلى عقيدته ، وهو لغير المسلمين ، كالمسلمين تماماً ، فلهم الحق في مباشرة الأعمال والقيام بشغل الحرف المختلفة.

٢- تولى المناصب والوظائف على إختلاف أنواعها حق لغير المسلمين كالمسلمين تماماً دون تمييز أو تفريق.

٣- حق العامل فى الرعاية الصحية والاجتماعية.

* ***العمل مكفول لكل فرد مسلم وغير مسلم:***

فلقد أعطى الإسلام كل فرد الحق فى أن يزاول أى عمل مشروع يروق له ، وتكون لديه الكفاية للقيام به.

وقد حث الإسلام على العمل أيا كان نوعه ما دام داخلا فى نطاق الأعمال المشروعة وأمر به ، وأعلى من شأنه ، فى قوله سبحانه: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) الآية. كما بين الحق سبحانه أنّ الأرض هى موطن العمل ، وقد ذللها عز شأنه ، فجعلها ممهدة مسخرة للإنسان يمشى فيها ويعمل فوق ظهرها ويأكل من ثمرات إنباتها فقال عز ثناؤه: (هو الّذى جعلَ لَكمْ الأَرْضَ ذَلُولاَ فَامْشُوا فى مناكبِهَا وَكُلُوا من رِزْقِهِ)[7]

ويأمر القرآن المؤدين لصلاة الجمعة ألا يطول مكثهم فى المسجد، وأن ينصرفوا إلى أعمالهم بعد انتهائهم من أداء الفريضة[8] قال تعالى: [يا أيـها

---

[7] سورة الملك ، آية ١٥.

[8] المساواة فى الإسلام للدكتور / على عبد الواحد وافى ٢١ - ٢٢.

الَّذين آمنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلاة من يوْمِ الْجُمُعة فاسْعوْا إِلى ذِكْـــرِ اللَّـــه وَذرُوا الْبيْعَ ذَلِكُم} خيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تعلمُون* فإِذا قُضيت الصَّـــــلاةُ فانتشِــرُوا فـــى الأرْض وَابْتغُوا من فضْلِ اللَّه].[9]

أجر الأجير لا يؤجل:

ولما كان فقراء الناس ودهماؤهم لا يملكون إلا قواهم الجسمية والعقليــة ، وليس لهم من رؤوس الأموال إلا ما يستطيعون بذله من مجهود فقد أحـــاط الإسلام العمل والمجهود الإنساني بحماية لا تقل فى قوتها عن حمايته للملكية ورأس المال ، وعلى أساس هذه النظرة الكريمة للعمل يحترم الإســـلام حـــق العامل فى ملكية أجره ، فهو يدعو إلى الوفاء به وينذر من يجور عليه مـــن أصحاب العمل بحرب وخصومة ، من الله وعدم النظر إليه يوم القيامة.

روى الإسماعيلى فى معجمه عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قـــال النبى (ﷺ) (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة حرٌ باع حراً وحرٌ باع نفســه ورجل أبطأ كراء أجير حين جف رشْحَه[10]).

ويطبق الإسلام هذه المبادئ على جميع أنواع العمل ســواء فــى ذلــك الأعمال الجسمية والأعمال العقلية وأعمال التنظيم والإدارة.[11]

* وغير المسلمين كالمسلمين فى مباشرة الأعمال والحرف المختلفـــة لـــهم حرية العمل والكشف ، بالتعاقد مع غيرهم ، أو بـــالعمل لحســاب أنفســهم ، ومزاولة ما يختارون من المهن الحرة ومباشرة ما يريدون من ألوان النشــاط الاقتصادى شأنهم فى ذلك شأن المسلمين.

---

[9] سورة الجمعة ، أيتا ٩ ، ١٠.
[10] جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده الجامع الكبير جـ ٣ ص ٦٩٠.
[11] المساواة فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى ، ص ٧٩ ، ٨٠.

فقد قرر الفقهاء أن غير المسلمين فى البيوع والتجارات، وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين ، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا وغيره من المحرمات وفيما عدا ذلك يتمتعون بتمام حريتهم فى مباشرة التجارات والصناعات والحرف المختلفة وهذا ما جرى عليه الأمر ، ونطق به تاريخ المسلمين فى شتى الأزمان وكادت بعض المهن تكون مقصورة عليهم كالصيرفة والصيدلة وغيرها واستمر ذلك إلى وقت قريب فى كثير من بلاد الإسلام وقد جمعوا من وراء ذلك ثروات طائلة معفاة من الزكاة ومن كل ضريبة إلا الجزية ، وهى ضريبة على الأشخاص القادرين على حمل السلاح وهى مقدار زهيد، ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة آى باب من أبواب الأعمال ، وكانت قدمهم راصخة فى الصنائع التى تدر الأرباح الوافرة فكانوا صيارفة وتجاراً وأصحاب ضياع وأطباء بل إن أهل الذمة نظموا أنفسهم ، بحيث كان معظم الصيارفة الجهابذة فى الشام مثلا يهوداً على حين كان أكثر الأطباء والكتبة نصارى وكان رئيس النصارى فى بغداد هو طبيب الخليفة.

* تولّى بعض وظائف الدولة لغير المسلمين:

ولأهل الذمة الحق فى تولى وظائف الدولة كالمسلمين إذا تحققت فيهم الشروط التى لابد منها من الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة.

وقد تولى الوزارة فى زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة منهم نصر بن هارون سنة ٣٦٩هـ وعيسى بن نسطورس سنة ٣٨٠هـ وقبل ذلك كان لمعاوين بن أبى سفيان كاتب نصرانى اسمه سرجون. وآخر ما سجله التاريخ من ذلك ما سارت عليه الدولة العثمانية فى عهدها الأخير بحيث أسندت كثيراً من وظائفها إلى رعاياها من غير المسلمين.[١٢]

---

[١٢] غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ، ص ٢٢ - ٢٥.

سابعا:- *حق العامل في الرعاية الاجتماعية:*

لقد عنى الإسلام بوضع الأسس والمبادئ الكفيلة برعاية العامل فى كــل حالة من أحواله فى حال صحته وقدرته وفى حال مرضه وعجزه أو بطالتــه وهذه العناية تشمل أسرته بعد موته.

وهاهى أهم المبادئ العامة فى ذلك :

لقد صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة على أمور منها: كفالة كل عامل ضعـف عن العمل لكبر أو مرض أو كارثة .. وفى ذلك يقول : (وجعلت لهم أيما شيخ "عامل" ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصـار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت حريته وعيل من بيت مال المسلمين وعيالـه ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام.)[١٢]

الإسلام حبٌ للبشرية

من أهم سمات الإسلام الحنيف التى تميز بها على سائر الأديـــان نبـذه للعصبية التى هى أساس الكراهية ومنبع العداوات والتفرقة بيـــن الشـعوب والقبائل والأوطان والمجتمعات. ودعا للمساواة فـــى الحقــوق والمعـاملات والواجبات ، وحث على الرحمة والمودة بين الأفراد والأســر والجماعـات ، ودعا إلى نشر السلام والأمان ، ونبذ العداوات والمشاحنات والخصومـــات ، ومن الهدى النبوى لرسول الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) ، نجد أساس الحب فــى قوله (ﷺ) [والله لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم علـــى شــئ إذا فعلتمـوه تحاببتم ، أفشوا السلام].

[١٢] الخراج لأبى يوسف ص ١٥٥ ، ١٥٦ ط السلفية السادسة ١٣٩٧هـ

فنجد أنّ أساس الحب ، هو إفشاء السلام بين بنى الجنس الآدمى، ومن عظيم صنع المشرع جل شأنه ، يوصى المسلم ويرشده إلى أعلا صنوف الرحمة والسلام [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ].

وهنا يجب أنْ نمعن النظر فى عظمة القرآن دستور الإسلام مرات ومرات ، لنجد كيف قدّس كرامة الإنسان ورفع شأنه فوق كل شئ بما فى ذلك العقيدة والاعتقاد، وإنْ أحد من المشركين نزل به ضيم أو خطب أو خطر يهدد حياته وكيانه استغاث بك وطلب النصرة والعون منك أيها المسلم ، أجره بغض النظر عن كونه مشركاً وإنما هو إنسان صنعة الله تعالى وتسويته، فيكفيك أيها المسلم أنْ تنصره وتوفر له الأمن والاستقرار لكونه إنساناً دون النظر لما يعتنق من الديانات أو العقائد ، فأصل الخليقة واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب، وأنّ الذى خلقك أيها المسلم ، هو الذى خلق المشرك والكافر وغيره، والقدسية لآدميته ولنسمة التى أودعها الله تعالى جسده وجسدك على السواء فهو إنسان مثلك تماما له مالك وعليه ما عليك ، كما يجب أنْ نقف أيضاً وقفة بتأمل وإمعان فى قول الحق عز ثناؤه [حتى يسمع كلام الله] لأنّ سماع كلام اللّه عز وجل ، تقشعر منه الجلود ، وتلين منه القلوب القاسية ، فإذا سمع هذا المشرك كلام الله تعالى، إقشعر جلده ، ولان قلبه ، وهى بلوغ الغاية من السماع فى استخدام كلمة [حتى] فعسى الله تعالى أنْ يقذف فى قلبه نور الإيمان فيشرح صدره للإسلام ، فهو فى المقام الأول إنسان مثلك تماماً يحس بما تحس ، ويتألم مما تتألم ، أمّا الهداية الإيمانية فهى منحة ربانية جل الله رب العالمين.

ونبه سبحانه إلى سماع كلامه لما له من خواص فى التأثيرعلى الأبدان والأرواح والقلوب [اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهاً تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وقلوبهم إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ].

وفى بيان قيمة رابطة الحب بين الناس وما ينعكس به من صلاح الوطن يقول (ﷺ) [لا يؤمن أحدكم حتى يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأنْ يُحب المرء لا يحب إلا لله عز وجل ، وأنّ يكره أنّ يعود للكفر كما يكره أنْ يقذف فى النار] متفق عليه.

إذن كل من يبغض الناس ليس مؤمناً حيث نفى رسول الله (ﷺ) الإيمان عن من لا يجب الناس حباً لله وفي الله وهو الحب الرباني الخالي من العلل، فالحب لعلّة ليس بحب ولا يتحقق به المودة بين أفراد الوطن التى بها تقوى الرابطة بين أوصاله فتتآلف القلوب وتصفوا النفوس وكأنها على قلب رجل واحد فيزدهر الوطن وتقوى شوكته وتعلوا كلمته ، هذا يتحقق ثمرة للحب الربانى ، كما أنه (ﷺ) نفى فى حديث آخر الإيمان عن أصحاب الأنانية والآثرة الذين يحبون أنفسهم ويؤثرونها على الناس فقال (ﷺ) [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحبُ لنفسه] أخرجه الترمذي .

نتبين من هذا الحديث الشريف مبادئ الإسلام السامية وأنّ دعوته دعوة حب وإخاء ومودة وصفاء ، ونبذ للعداوة والبغضاء ، وسماحة ورفق ، وألفة ونقاء ، فالإسلام دين الرحمة والمساواة والحب والمؤاخاة والتعاون على البر وبالتقوى وليس التعاون على الإثم والعدوان ، والبغى بغير الحق وإنّما دقة فى مقتضى العدل [وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان].

ولا يغيب عنا أخلاق ومواقف رسول الإسلام سيدنا محمد (ﷺ) هذا الذى نشر العدل وأرسى قواعد السلام ، وعلّم المكارم والفضائل أمماً تتوارثها الأجيال على مدى الدهور والأعوام ، وما أعظم أخلاقه ومواقفه التى تنبع من معين الرحمة التى أودعها الحق تعالى قلبه، ومن فيض أدب النبوة الربانى فى قوله (ﷺ) [أدنبى ربى فأحسن تأديبى] فالأدب الربانى أدب الكمال ما بعده من أدب.

أذكر موقفاً من أخلاقه وأدبه الذى حاز المكارم والفضائل، فى ذات يـوم كان (ﷺ) جالساً مع الصحابة ، فقدمت على مجلسه جنازة ليهودى ، فنـهض (ﷺ) واقفاً ، فقال الصحابة يا رسول الله أو ليـس يـهودياً ، فقـال (ﷺ) إنَّ الموت حق ، ورب الموت حق ، وإنَّما وقفت لآدميته ، أى أنَّه إنسان يجمـع بينى وبينه الجنس فأنا إنسان وهو إنسان ، وهى قوة الصلـة بينـى وبينـه الإنسانية بغض النظر عما يعتنق من العقائد ، وهى أعـلا مراتـب التكريـم لمعنى الإنسانية في شخص رسول الإنسانية جمعاء سيدنا محمد (ﷺ) ، وهـى من الدلالات على عظمة الإسلام وسمو رفعته فى تكريم الإنسـان وتقديـس آدميته واحترام إنسانيته دون النظر إلى ما يعتقد ويعتنق من الديانات ، كمـا إهتم الإسلام فى تشريعاته بالفرد أولاً وراعى ما لفيه نفعه واعتنى بصحتـه ورفع قدره فوق كل شئ ، فرسم الحقوق والواجبات ، وبين كيفية المعـاملات وحرَّم كل ما يفسد جسم الإنسان وعقله من الخبائث والمسكرات ، وأباح كـل ما ينفع صحة الإنسان وحرَّم المنكرات وأحل الطيبات ، دلالة على أنَّ صحـة اعتقاد الأديان ، لا يتحقق إلا بصحة العقول والأبدان.

وفى بيان ما يحقق الأمن والسلام قال رسول الإسلام محمد (ﷺ) [والله لا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام].

ومن الثابت فى شمائل نبى الرحمة سيدنا (ﷺ) أنه كان يصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عن من ظلمه ، ويقر الضيف ويعين الكل.

فصلاة ربى وسلامه عليك يا سيد الأنام ، يا داعى السـلام ، يـا رمـز الرحمة والمحبة والرأفة ، يا بشير العدل والمساواة للإنسانية رسمت معانيـها ، وطريق معالمها والاحترام.

عوامل هامة فى التنشئة

من أهم عوامل بناء الافراد نشأة قوية سليمة وهى مسئولية الحاكم وولى الأمر على السواء الآتى :-

١- القضاء على البطالة   ٢- الفقر

٣- الجوع   ٤- المرض

١- القضاء على البطالة : ويتمثل فى توفير فرص عمل مناسبة بما يتناسب مع قدرات كل مواطن وطاقاته حتى يتحقق زيادة الإنتاج والتكافؤ الاجتماعى بين المواطن وأحوال المعيشة ، فإيجاد العمل يؤدى إلى زيادة الدخل ، وزيادة الدخل تؤدى إلى رفع مستوى معيشة الفرد والأسرة والمجتمع فى الوطن عامة وهى مسئولية قومية يشترك فيها الحاكم "وولى الأمر" والمواطن معاً.

ولا شك فى أنّ البطالة هى السم القاتل، بل هى المرض الفتّاك الأول لكل مجتمع تتفشى فيه ، إذْ منها تنشأ كل آفة فإنها تسبب الحرمان ، والحرمان يسبب الميول العدوانية ، إذْ تتفاوت درجات المواطنين بالعمل وعدم العمل فمن يعمل يملك قوت أبنائه ورعايتهم رعاية شاملة ، أما!ا من لا يعمل فإنه لا يملك قوت نفسه ولا من يعول ، وبالتالى ضياع ومرض وعدم رعاية فيتحول بعض الأبناء إلى مدمنى إجرام يقوم بعمليات السطو والنهب والإدمان للمخدرات وغيرها، ويتبع ذلك ضعف الأسرة والمجتمع بل والأمة عامة.

٢- الفقر: هو المرض الفتاك القاتل الذى ينشأ عن البطالة فى المقام لأول ومن أسوأ نتائجه أنّ الأمم والشعوب الفقيرة تظل خاضعة للأمم والشعوب الغنية ، تعتمد على معوناتها وترتبط باقتصادها ، وتتحكم فيها كيف ما تشاء. ولعلنا ندرك ذلك جيداً فيما نرى ونشاهد من أحوال الشعوب ومعاملة الأقوياء للضعفاء أو بالأحرى معاملة الأغنياء للفقراء فى شتى مجالات الحياة. ولا

شك أن الشعوب الفقيرة لا تملك قوت العيش فكيف تملك الدواء وتبنى أجساداً تكافح الداء؟ بينما نعيش فى عالم لا يحترم إلا الأقوياء.

٣- الجوع: وهو التردى والهبوط فى أحوال المعيشة فى شتى صنوف مراحلها من غذاء ودواء وعدم إيجاد المسكن والإيواء وبالجملة يقصد بالجوع إنعدام مقومات المعيشة وسبل الحياة الطيبة على العكس من حياة الشعوب التى تملك قوتها ومقومات حياتها ومن الجوع ينشأ الحقد والحسد والبغضة والفرقة والعداوة بين الأمم بل بين الشعب الواحد بل بين الأخ وأخيه . كما ينشأ منه الأمراض النفسية والعضوية . فنعوذ بالله العظيم من الجوع، ونسأله المدد والغنى إنه قريب مجيب ، ثم نأخذ بالأسباب فى طلب الرزق وتوفير سبل العيش للحياة مصداقاً لقوله تعالى [ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه ويرزقه من حيث لا يحتسب].

٤- المرض : وهو ما يعنى علة فى البدن والأعضاء ، وهو قسمان:

أ) أمراض نفسية   ب) أمراض بدنية

أما الأمراض النفسية بجملتها فتنشأ للأسباب الآتية :-

١) الأمراض العضوية تنشأ منها الأمراض النفسية.

٢) سوء المعيشة والتغذية الرديئة.

٣) الحرمان الجنسى أو الكبت والقهر الفكرى أو سوء المعاملة أو الحرص على ما بقى أو الحزن على ما مضى كل هذا يسبب الأمراض النفسية ، ولقد حذر الحق تعالى أحبابه المؤمنين بقوله جل ذكره : [لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم].

أما الأمراض البدنية : فهى ما يعنى علة فى البدن وأنواع علل البدن كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مثلا : الشلل – قرحة المعدة – ضعف

البصر – تليف الكبد – فشل الكلى – آلام العظام – قصور فى اليدين والرجلين كل هذه أمراض عضوية ، ومسئولية ولى الأمر هى تنشئة الصغير بعناية تتمثل فى الغذاء الجيد والنظافة البدنية فى الجسد والثياب وحلق الشعر وقص الأظافر ، والاستحمام ، والرياضة أعنى التمرينات الرياضية كل هذا يؤدى إلى سلامة الجسد بأنّ يكون قوياً يكافح الأمراض لأن الجسد الضعيف لا يستطيع مقاومة الداء ودفعه.

الإحساس بالمسئولية

الإحساس بالمسئولية يراد به الشعور بأداء الواجب والإخلاص فى العمل.. وليست المسئولية مجرد الإقرار بها ، فإنّ الجزم بالشئ لا يعنى القيام به ، فقد نجد من يُعَيّن فيتولى أمراً من أمور الأمة أياً كان موقعه وأيا كان نوع قيادته من المسئولية ، لكنه لا يقوم بواجبها ، فنجد أنه فى الشكل الظاهرى مسئول لكنه بعيد كل البعد عن المسئولية ، لذا يجب الإحساس بالمسئولية وتتمثل فى أداء الواجب بالإخلاص فى العمل ، عملا بقوله (ﷺ) [إن الله تعالى يُحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه].

. فإنّ إهمال الراعى "المسئول" فى شئون الرعية ضياع لهم إذْ أنه بعيد عن أخبارهم لا يعرف شيئاً عن مشكلاتهم ، لا يشارك فى الرأى ولا فى الفكر وبالتالى لا يعرف طريق الحل فهو مسئول إسماً فقط . بينما نجد قادة ممن ولاهم الله تعالى أمر الرعية يقومون بواجب المسئولية خير قيام يحس فى كيانه أنه مسئول أمام ربه عن رعيته فيتقى الله تعالى فيهم ، فينزل على مشاكلهم ومعرفة أخبارهم ومتابعة نشاطهم ، والعمل الجاد على تذليل الصعاب وحل المشكلات ، قريب منهم ليس بعيد عنهم ، يسعد لسعادتهم ، يجزع لما يؤلمهم ، يقاسمهم الرأى والفكر والتنفيذ.

وهذا النوع يمكن تسميته راع ومسئول عن رعيته ، أى أنه بمـــا قــدم لنفسه من خير بسبب حسن رعايته للرعية ، ناج يوم العرض والجزاء مـــن مسائلة ربه.

كما هو الحال فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الــذى كــان يتفقــد الرعية وينزل ليلاً يتحسس أخبارها وكان يقول و الذى نفسى بيده لو غــثرت بغلة فى العراق لسئل عمر لما لم يسو لها الطريق هذا أرقى صنوف أنـــواع الإحساس بالمسئولية ينزل متخفياً ليلاً إلى الطرقات يســـتطلع آراء القــوم ، يقف على مشاكلهم ، يعرف أخبارهم يعرف ما هم فيه من المعانـــاة ويعمــل فوراً على رفعها وحل مشكلاتهم دون تباطؤ أو تقيد بالروتين الـــذى يعرقــل مصالح الأمة ويعطل نمو اقتصادها ويضعف بنيتها الأساســـية فــى تحقيــق وسائل الحياة الكريمة لجميع أبناء الوطن . ولعل الإحساس بالمسئولية ينشـــأ من صدق الإنتماء للوطن وحبه.

بينما نجد قادة مهملين بعيدين كل البعد عن الرعية لا يعرفون شيئاً عنها ، يعقدون بالروتين كل المصالح مما يلحق الضرر بالوطن والمواطـــن علـــى السواء ، لا يشعرون بالمسئولية ليس لهم إنتماء للوطن بـــل وجــدوا هبــاءً بمحض الصدفة فى منصب ليسوا أهلاً له ، مثلهم فى ذلك مثل بعض الأفــراد ممن يعبثون بالمال العام ، فنجد شخصاً يقطع كراسى الســـيارة (الأتوبيــس) وآخر يكسر زجاج القطار وآخر يعبث بالماء يكسر الحنفيات ، وآخـــر يلقـــى بالقاذورات فى مياه الشرب "النهر" أو يبدد استخدامها بالإسراف حتى فـــى الوضوء، نجد من هذا القبيل كميات رهيبة من الافـــراد الذيـــن لا يشــعرون بالإنتماء للوطن ، فيعبثون بثرواته يبددونها وكأنه ليس وطنهم ، والحقيقة أنّ مثل هؤلاء لا يستحقون العيش فيه لأنهم نسبوا إليه وحسبوا عليه ظلماً ، هذا كله ينشأ عن ضعف التنشئة وعدم الإحساس بالمســـئولية تجــاه الوطـــن ، ولعلاج ذلك يلزم إنتقاء قادة مخلصين تتوفر فيهم صفات وقدرات خاصة منها

صدق الإنتماء للوطن مع يقظة الضمير فيــهم ، مــع معرفتــهم معنــى راع ومسئول عن رعيته.

فإذا توفرت شروط القيام بالمسئولية ، أعنى واجب أداء العمل والإخلاص فيه ، يمكن تقسيم المسئولية إلى ما يأتى :-

١- مسئولية أخلاقية ٢- مسئولية فردية

٣- مسئولية اجتماعية ٤- مسئولية الحاكم

أمّا المسئولية الأخلاقية ، فتقع فى الأفعال الباطنة للفــرد المكللــة بالحيــاء والعفة.

وأمّا المسئولية الفردية ، فيقصد بها إحساس الفرد بأنّ كــل شــئ مــن ثروات الوطن وممتلكاته هى ملك له وأنه مسئول عنها يرعاها ويحافظ عليها كجسده تماماً ، وأمّا المسئولية الاجتماعية ، فهى إحساس المجتمع بمسئوليته تجاه مجتمع آخر مضطهد أو يعانى من الفقر أو تفشــى المــرض والإدمــان والرشوة فيعمل على دفعها ومساعدته على التخلص منــها ، وتســمى هــذه مسئولية مجتمع تجاه مجتمع آخر.

أمّا مسئولية الحاكم ، فهى الإحساس بالمسئولية عن كل صغيرة وكبــيرة داخل الرعية التى ولاّه اللّه تعالى أمرها ، تبدأ من الدوات حتى النملــة فــى سكنها والطير فى عشه ، وهى الأقل تنتهى بالإنسان الفرد وهو الأهم.

ومسئولية الحاكم قريبة من المسئولية الأخلاقية إلا أنه يزيد عليها الوفاء وعدم الخيانة ، أى أنها تقع فى الأفعال الباطنة للفرد المكللة بالحياء والعفــة والوفاء وعدم الخيانة.

العدل قوام الوجود

العدل أساس الإحساس بالمسئولية إذْ أنه الأمــن والإسـتقرار للوطـن والمواطن .

أولا : تعريف العدل لغة : الإنصاف. وشرعاً : وضع الأمور فـى نصابـها ، وضد العدل الجور : وهو الميل والإنحراف عن الحق.

والعدل إسم من أسماء الله تعالى سمى به نفسه وأمر به عباده بقوله جل ذكره : [اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى].

ولعلنا ندرك أنَّ الحق جزئية عن العدل إذْ بغير عدل فلا حق.

وتعريف الحق : لغة : نصرة المظلومين ، وشرعاً إعادة ما سـلب إلـى أهله.

وجاء فى الوصايا التسع للرسول الأعظم محمد (ﷺ) العدل فى الغضـب والرضا ، أى يجب العدل حتى ولو كان أحد الخصوم بينـه وبيـن القـاضى خصومة شخصية ، فوجب على كل من ولاَّه الحق جل وعلا أمر الرعيـة أنْ يعدل بينهم فى كل شئ.

وجاء فى الأثر عن النبى (ﷺ) قوله: "أكثروا من ذكر عمر فإنَّ ذكره فيـه العدل والعدل إسم من أسماء الله تعالى ، ومن الثابت أنَّ عمر رضى الله عنـه ، إشتهر بالعدل ، فطوبى لكل من حكم فعدل ، ولعلنا نعرف أنَّ طوبـى هـى شجرة فى الجنة ، ما من غرفة من غرف الجنات إلا وعليـها غصـن مـن أغصانها ، وتحت جذرها عين من الماء، ما من عبد يأذن الحق تعـالى لـه بدخول الجنة إلا وتطهر من مائها قبل الدخول فإذا تطـهر تأتيـهم الملائكـة بالتحية "سلام عليكم طبتم" أى طهرتم.

الحياة

الحياة هى نعمة الوجود التى وهبها إياك الخالق المعبود عز ثناؤه مـــدة أجلك الذى قدرهُ لك الحق سبحانه في الدنيا التى هى بمثابة مزرعه للاخرة ،و لا يغيب عنا ان الثمر من نوع الشجر و الجزاء من جنس العمل ، واعلـم أنّ الحياة لا تقاس بزمن بقائك فيها أيام وسنين ، وإنما تقاس بما تحققه فيها من إنجازات تفيد البشرية ، والحياة بحر مهلو، وجسمك فيه يشـــبه السـفينة ، وعقلك ربانها ، وضميرك بوصلة المسير، وأنفاسك هى الموج ، وذاتك طـالب النجاة ، والهوى كالهواء، فانظر إلى من تسلم قيادة السفينة.

والإنسان فى الحياة عامل ، وحياته فيـــها آلـــة عملـــه ، فـــإنْ أحســـن استخدامها خدمته ، وتم انتفاعه بها ، وإن أهملها أو أساء استخدامها خربـت وأرهقته بحملها ، والناس فى الحياة الدنيا ، نوعان : نوع تخدمــه الدنيـا ، ونوع يخدم الدنيا ، فطوبى لمن تخدمه الدنيا ، [وما الحياة الدنيا إلـــى متـــاع الغرور].

وظيفة الإنسان فى الحياة

ماذا عسى أنْ تكون وظيفة الإنسان فى هذه الحياة يا ترى؟ وما قيمته فى الوجود؟

وظيفة الإنسان فى الحياة وقيمته فى الوجود تكون بما حبـــا الله تعـــالى فؤاده من إدراك وعلم ومعرفة ، فهو المرآة الكونية العاكسة لما تتجلـــى بـــه

الحقيقة الإلهية المطلقة على سائر الموجـودات الأخـرى فتظـهر بظـهوره ويتضح وجودها بوجوده.

وإنى لأعتقد إعتقاداً جازماً أنّ الوجود فى مجموعة رسالة من الله عـز وجل ، مكتوبة بأحرف من النور ، وأنّ المخاطب بتلك الرسالة هو الإنسـان ذلك الكائن الضعيف بجسده وغرائزه ، القوى بروحه وعقله وخصائصه التـى رشحه الخالق سبحانه بها لخلافة ربه، وحمل أمانته.

فعن خلافة الإنسان لربه فى الأرض قال عـز شـأنه : "وإذْ قَـالَ رَبُّـكَ للملائكةِ إنّى جاعلٌ فى الأَرْضِ خليفة] وعن تحمل الأمانة وحملها وهى حمـل ثقيل ، قال الحق عز وجل : [إنّا عَرَضْنَا الأمانـةَ علَـى السَّـماوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجبالِ فأَبيْن أن يَحْمِلْنها وَأَشفقْنَ منْها وَحَملَها الإنسَانُ إنَّـه كَـانَ ظَلُومـاً جهُولاً] ظلوماً لنفسه بتحمل أعبائها ، جهولاً بعاقبة أمره لضياعُها، فإنْ أدّاها نجا ، وإنْ ضيعها غوى ، والغواية هلاك.

الوطن فى قلوب الشعراء

من الثابت أنَّ الشعر يتولد من المعاناة ، ومن الصعب والتحدى ، يتولـــد العظماء ، فإنَّ الشعراء يمرون بمواقف صعبة يعانون فيها من الحرمان وآلام الفراق ، ومن الحنين إلى الوطن والأهل والأحباب ، يتولد أجمل أبيات شعرهم ، وأعلا مقامات أحاسيسهم الفياضة تعبر عن ما يقاســوه فــى غربتــهم أو منفهاهم ، وكذا العظماء يمرون بأصعب المواقف التى تنشأ عن إضطـــهاد أو حقد من الحاقدين أو كيد من الخائنين ، يقع هذا بالعظماء لنبوغهم بقـــدرات ذكاء غير عادى ، أو لقوة شخصياتهم التى تقلق وتزعج أعداءهم ، فـــيرون فيهم ما لا يرون فى أنفسهم ، ولابد للعظماء أنّ يكونـــوا أفـــذاذاً ، يخشـــاهم الأعداء لتأثيرهم فى الراى العام وتنوير العقول وتحرير الأوطان من قبضـــة المستعمرين الغاصبين ، فالعظماء يقودون حركات التحرر دائما بالفكر الواعى والكلمة المؤثرة التى تلهب المشاعر ولذا سُمى الشعر شـــعراً لأنّـــه يُلـــهب النفوس بالحماس ويشعرها بقيمة أوطانها ، فتستيقظ من سباتها ، وها هـــو أمير الشعراء أحمد شوقى ، بعد رحلة طويلة من السفر والغربة بعيـــداً عـــن وطنه مصر ، يقول تعبيراً عن حبه وحنينه وشوقه لوطنه:

وطنى لو شُغلتَ بالخلد عنه ... نازعتنى فـــى الخلـــــــــــــــد إليـــه نفسى

ويا وطنى لقيتك بعد يـــــأس ... كأنى قد لقيـــــــــــــــت بــك الشبابـــــــــا

وهاهو محمود سامى البارودى ، فى منفاه عندما نفى من وطنه ، يُعبر عما يعانيه من ألم وحنين وحرمان لفراقه يقول:

أبيت فى غربة لا النفس راضية ... ولا الملتقى من شيعتى كثب

فلا رفيق تسر النفس طلعته ... ولا صديق يرى ما بى فيكتئب

وهاهو شاعر يُحب بلاده ويغفر لها الإساءة ، فيقول:

بلادى وإنْ جارت على عزيزةٌ ... وأهلى وإنْ ضنُّوا على كرام

وقد كتب أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة جميلة عن حب الوطن والتمسك به ، فحكى : أن عصفورتين كانتا تعيشان فى أرض الحجاز ، فمرَّ عليهما ريحٌ جاء من اليمن ، وأخبرهما أنه رأى فى اليمن حديقةً جميلة ورائعة يُحبها كل الطيور، وعرض عليهما أنْ يحملهما إلى تلك الحديقة ليعيشا فيها ويسعدا بها ، ولكن العصفورتين رفضتا ، وقالت له إحداهما ، إنك لا تعرف قيمة الوطن ، لأنك ريحٌ تمرْ بكل مكان ولا وطن لك ، وأنَّ الوطن لا يعدله شئ فى الوجود، فأنشأت العصفورة تقول :

يا ريح أنت ابن السبيل ... ما عرفت ما السكن

هب جنة الخلد اليمن ... لا شئ يعدل الوطن

وهاهو الشاعر محمد محمود رضوان ، فى قصيدة له عن الوطن يقول:

ولى وطنٌ وُجدت به ... نعيم العيش مقترنا

إذا يدعو لتضحية ... بذلت الروح والبدنا

سأحميه وأرفع ... ليأخذ فى العلا سكنا

ولست أبيعه إذا ناديت ... من للبذل صحت أنا

وما أكثر وأجمل ما قال الشعراء فى حب أوطانهم واصفين أحاسيسهم الجياشة بحبهم ، ومدى استعدادهم للتضحية إذا نادى الوطن ، ومدى حرصهم على رفعة أوطانهم والذود عنها ولو اقتضى الروح والبدن.

المؤمن وحق الوطن

للوطن حق على كل مواطن مسلم وغير مسلم مادام الجميع ينعم بالعيش فوق ترابه بحرية ينعمون بالأمن والأمان ، يتقاسمون خيراته، ويأكلون ثمراته ، ولابد للمؤمن من أن يترجم حبه لوطنه إلى أفعال تؤدى إلى رفعة الوطن و ازدهاره ، ونموه ورخاءه، فيحافظ على إنجازاته وممتلكاته ، ويحمى حماه ، ويصون مقدراته، من يقين قلبه بصدق إنتماءه للوطن وعلمه بأنّ كل حبة من ذرات ترابه هى مِلْكٌ له ولأحفاد أحفاده ، فيستثمر خيراته ويطور قدراته ، بأحدث ما فى العصر من إبتكارات واختراعات العلوم والتكنولوجيا، بحيث يبدأ من حيث إنتهى الآخرون ، لأنّه لا مكان فى العالم الحديث والمتطور لكسول أو مهمل ، أو جهول متخلف عن ركب الأمم فى رقيها وتطور علومها ، فإنّ العالم يتسابق ويتصارع بصنوف جديدة من الحروب غير حروب الجيوش التقليدية ، وإنّما حروب إقتصادية وفكرية وثقافية ، تغزوا به الدول المتقدمة الدول الضعيفة المتخلفة ، وهذه الحروب هى الأخطر ، فإنّ الغزو الفكرى والثقافى لبلاد الإسلام، هو تغيير لمعالم الأمة ، وهدم لمبادئها السامية ، وشتات لفكرها وضعف لشوكتها ، وتفريق لشملها ، فإنّ الفقير الذى لا يملك قوته ، لا يملك قراره كذلك.

ونحن نلاحظ هبات رياح العواصف الإحتكارية للـــدول الغنيـــة القويـــة للسيطرة على اقتصاد العالم والتحكم فى دويلاته وخاصة العـالم الإســلامى ، كما تقف هذه الدول الكبرى سداً منيعاً ضد تقدم الدول الإسلامية وتجريدها مـا استطاعوا من قدراتها الذاتية ومنع كل مـــا يـــؤدى إلـــى تطورهـــا ورقيـــها ونهوضها بما وصلوا إليه فى شتى فروع المعرفة والتطور.

لذا فإنَّه لن تبنى أوطان الإسلام والمسلمين إلا بسواعد أبنائها المخلصين المجدين.، الذين يعملون لرفعة أوطانهم وعلو شأنها ، والنهوض بالأمة مـــن سباتها ، فالإسلام دعوة للعلم والمعرفة والتطور، وليس التجمد والتخلف ، لذا فأبناؤه مطالبون بأنْ يكون منهم العـــالم المختـــرع ، والطبيـــب والمـــهندس المبتكر، والمفكر اللمَّاح الواعى لما يدور من حوله فى العالم مـــن تغـــيرات فكرية وإجتماعية ، مع وضع الدواء لكل داء ينشأ عن فكر هدَّام متخلفٍ يدعو إلى تفرقة الأمة وشتات شملها ، يتصدى لكل فكرٍ دخيل على الإسلام ومبادئـه ، فيحرر العقول وينور القلوب ويرشد إلى الطريق القويم، ويصحح الأخطـــاء فى المفاهيم فإنَّ مهمة الفكر هو الإرشاد والتقويم.

ومن مظاهر حب الوطن ، محاربة الجهل فيه ، والأخذ بسبل العلم فـالعلم مفتاح العلل ، وهو من أسس بناء الأمم.

ومن مظاهر حب الوطن بذل أقصى جهد فى العمـــل الـــذى يعمـــل فيـــه بإخلاص وتفانى حتى يحقق الخير والرخاء لهذا الوطن.

ومن مظاهر حب الوطن ، محاربة كـــل صنـــوف الفســـاد والتخريـــب ، والسلبية التى تنعكس بالضرر على جميع أبناء الوطن.

ومن مظاهر حب الوطن : الدفاع عنه عند أى عدوان عليه ، وبذل المـــال والنفس فى سبيل.

وكذلك الدفاع عن بلاد الإسلام والمسلمين حتى تحيا حرة كريمة تحت قاعدة (واعتصموا بحبلِ اللَّه جميعًا ولا تفرّقوا) .

بالعلم والمالِ يبنى الناس ملكهم ... لم يبن ملكٍ على جهلٍ وإقلال

منهجية السلوك

لقد تضمنت السنّة النبوية المطهرة سبع عشرة فضيلة هى أساس التعامل وقاعدة السلوك فى منهجية رسول الإنسانية جمعاء سيدنا محمد (ﷺ) : فكما تعجز العقول عن إحصاء نعم ربّها عز ثناؤه، أو الإحاطة بأسرار كتابة القرآن العظيم ، كذلك يعجز الخلق جميعاً عن إحصاء وحصر خُلق رسول الله (ﷺ) ، لأنّه حين سئلت السيدة عائشة رضى اللّه عنها، عن خُلق رسول اللّه (ﷺ) ، قالت: كان خُلُقه القرآن ، ونحن نأخذ من المكارم الخُلقية للرسول (ﷺ) ، بقدر التعرف إلى سنّته الشريفة ، فبقدر ما يعرف كلّ منّا من السنة ، يستطيع أنْ يعرف جانباً من مكارم الأخلاق فى رسول اللّه (ﷺ) لهذا حرصَ الإمام على كرّم اللّه تعالى وجهه على التعرف عليها بقوله : ما سنتك يا رسول الله؟ فقال (ﷺ) : المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى . والعلم سلاحى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والطاعة حسبى ، والصدق شفيعى ، والتقوى زادى ، والجهاد خلقى . والصلاة قرة عينى ، وذكر اللّه أنيسى.

ولا شك أنّ ما جاء فى هذا الهدى الشريف من نور وهدى تقصُرُ عنه الكلمات وإنّ اتسعت المعانى، وتقصُرْ عنه الأيام والليالى وإنْ طال بالناس الزمن ، ولكننى أقول : مالا يدرك كلُّه ، لا يترك كلُّه.

فأول ما جاء فى نور هدى رسول (ﷺ) قوله (المعرفة رأس مالى). وتلك إشارة إلى الآيات الكريمات التى استُهِلّت بها أولى إشراقة أنوار رسالته (ﷺ) الخاتمة الجامعة ، لحظة أنْ أوحىَ إليه.

فقد جاءه أمين الوحى جبريل عليه السلام ، حين كان (ﷺ) معتكفاً فى غار حراء ، حيث حُبّبَت الخلوة إلى نفسه (ﷺ) معتزلاً دنيا الناس وما يعبدون من أصنام يعكفون عليها، رغم أنهم صنعوها بأيديهم وأيدى آبائهم ، ليُحلّق بروحه وعقله بعيداً عن عيونهم إلى ما يحيط به من آيات ملكوت السموات والأرض ، بحثاً عن الحقيقة التى شُغِفَ بها قلبه ، حتى ملأت عليه جنبات نفسه ، فأصبحت هى ضالّته فى الوجود ، ولا ضالّة له سواها ، فيما حكاه عن القرآن العظيم (وَوَجَدكَ ضالاً فَهدَى) وبينما هو فى خلوته ، معتكفاً فى الغار كعادته، جاءه أمين السماء ملك الوحى جبريل عليه السلام ، أرسله ربه إليه بأول إشراقة من النور ، وأول كلمة فيما حوته السطور والصدور ألا وهى (إقرأ) ليسلمه مفتاح الدستور وهى المعرفة التى تتحقق بالقراءة، ويتم بها بلوغ الغاية وتحصيل النهاية التى مؤدّاها العلم بدقائق الأمور ، ويكشف له حُجب الستور ، ويرسم له طريق العبور، ليخرج الناس بمنهجه القويم من ظلمات الجهالة إلى نور المعرفة والهداية ، لذا كانت أولى دعامات منهجه (ﷺ) المعرفة رأسى مالى ، لأنّه من عرف علمَ ، ومن عَلِمَ فَطِن ، ومن فَطِنَ تيقّن، ومن تيقّن صحّة عقيدته ، وسلِمَ قلبُه، وجاء العقل هو الدعامة الثانية ، إذْ لا تكليف إلا على العقلاء ، وكيف يكلف من لا يعقل ولا يَعِىَ ما يقول ولا يستطيع أنْ يميز بين الأشياء ، وقدّم المعرفة لأنّها دليل العقل ومرشده.

وجاء الحب فى المرتبة الثالثة بعد المعرفة والعقل ، بمعنى أنّه لا يعرف إلا من عقلَ، ومن عَقِلَ علم البداية والنهاية والحكمة من إيجاده فى هذه الحياة الدنيا.

الضمير الإنسانى

يعتبر الضمير الإنسانى هو الحكم والفيصل بين ما تجمعه النفس الواحدة داخل كيانها من نفسين ، هما:-

اللوامة : وهى جانب الرحمن فى العبد ، لها يهدى ومن أجل مرضاته تعمل .. والأمارة : وهى جانب الشيطان فى العبد ، لها يهدى ولـــه تعمــل ، ويقــف الضمير الأخلاقى فيصلا بين الإثنتين ، والضمير حاكم عادل ، وكائن منظــم ، وحى لا يموت ، وإنْ تغيب أحياناً تحت أثقال الذنوب ، وانحرافــات الغفلــة ، وطغيان المعاصى ، وهو الذى يلوم النفس على كل قبيح منكر ، ويقف فيصلاً إنْ أرادت التجاوز ، وهو أصعب وأقسى أنواع العذاب علــى النفــس ، بمــا يعرف بعذاب الضمير، تأنيب الضمير الأخلاقى داخل كيان العبد ، ومنه سرور النفس حينما ترقى إلى سمو الفضائل ، ومنه حزنها حينما تنحدر هبوطاً إلــى الرذائل وفعل المنكرات ، ينكر عليها فعلها ويزيد من تأنيب العبد ، وجاء فــى الأثر ما يشير إلى يقظة الضمير بوقفة الإنسان مــع نفســه ، قولــهم : "إنْ سَرَّتْكَ حسنتك وساءتك خطيئتك فاعلم أنك مؤمن" ولا يقع السرور إلا إذا كان ضمير العبد راضٍ عن نفسه ، ولا يقع الحزن إلا إذا كان الضمير فــى العبـد غاضب من تصرفاته رافضاً لقبح أفعاله ، ومنه لوم النفس نفسها ، وقد أقسم الحق تعالى بها فى قوله عز شأنه: "لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامةِ ، وَلاَ أُقْسِمُ بــالنَّفْسِ اللَّوَّامَة" .

والخلاصة أنَّ الضمير الإنسانى سراج الروح ، ومصباح النفــس ، فــلا تطفئه بالهوى ، وميزان العدل داخل كيان نفسك فلا تخسره بالمعصية.

وطوبى لأصحاب الضمائر اليقظة يوم اللقاء والعرض على خـالق الأرض والسماء.

الإنسان والإيمان

الإنسان هو أكرم المخلوقات على الله عز وجـل ، فـهو صنعـة الـرب سبحانه ، وتسويته وإحسانه ، وفيه أودع سره ، وهو نسمة الروح الربانيـة التى نفخها الحق تعالى ، فى أبى الخليقة آدم عليه السلام ، بعـد أنْ خلقـه بيديه ، وسوى خلقه ، وهبه منحة التكريم العالية التى نال بها درجة التكريـم على سائر المخلوقات ، واستحق بها سجود الملائكة له ، وهى نفخة الـروح من الله عز ثناؤه فيه : (فإذَا سَوَّيْتَه ونَفَخْتَ فيهِ منْ روحى فقَعُوا لَهُ سَاجِدِين)

وكلمة إنسان جاءت من الإنس والإستئناس ، أى أنه آلف مألوف، يـأنس ويستأنس به ، على العكس من الوحوش والحيوانات، وقد أشار القرآن إلـى حسن تقويم الإنسان فى خلقه (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسانَ فى أحْسنِ تَقْويم) ، وليسـت قيمة الإنسان الحقيقية فيما يجمع من ثروة ، أو يحرز من ذكـاء وشـهرة ، وإنما قيمة الإنسان الحقيقية فيما تنطوى عليه نفسه من فضائل ، وفيما يقـدم لمجتمعه من خدمات ومنافع ، تنبعث من مكارم الأخلاق ، والقدوة الحسنة.

فهيا أيها الإنسان ، إرتقى بذاتك الإنسانية ، واسمو بإيمانك إلى سـماء المعرفة ، فإنَّ الإيمان ثمرة حقيقة المعرفة ، والمعرفة يقين القلـب عرفانـاً بجميل الرب الجليل سبحانه ، الذى وهبه الحياة ، ومنحه الهداية إلى معرفتـه ، ومنها عرفوا الله فعبدوه ، وشاهدوا عظمة جبروتـه فخـافوه ، ومرتبـة المشاهدة تكون للقلب بنور اليقين، وثمرة إيمانك تقاس بما صرفت فيه همتك ، إمَّا فى طاعات وإمَّ فى معاصى ، فإنْ كان فـى عمـل الصالحـات وطيـب الطاعات ، وكريم الأفعال والصفات ، بما يصلح الكون ، ويحيـى النفـوس ، ويدرأ الآفات، أعنى آفات الشرك عن القلوب ، وآفات ظلمات الأغيار ، أعنـى

التعلق بالدنيا وزخارفها ، فإيمانك إذن صادق ، وحظك ما ضاع فيه وقتك ، ونهايتك ما تعلقت به روحك عند بدايتك ، أعنى يوم العهد الأكبر الذى أخذه الحق تعالى ، على ذرية آدم وهو إنفطارها على توحيده ، منذ اللحظة الأولى لإيجاد نسماتها (وإذْ أخَذَ ربُّكَ منْ بنى آدم منْ ظهورهم ذُرِّيتهم وأشْهدهُمْ على أنْفسهمْ ألستُ بربِّكُم قَالُوا بلَى) (فطْرتَ اللَّه التى فطر النَّاس عليها لا تَبْديلَ لخلْق اللَّه) فمن بدل أضاع الوقت ، وَحُرمَ الحظ ، ومن وفَّى فاللّه أكرم وأوفى.

التنشئة وتربية الفضائل

الفضائل هى جميل الصفات وطيب الأفعال ، وهى نوعان :

١- فطرى ٢ - مكتسب

أمّا الفطرى ويمكن أنْ نسميه بالوراثى وهو ما يولد به النشأ ويكون فى تكوينه منذ بدايته فنجده يتحلى به ويتضح جلياً فى سلوكه وتصرفاته ومعاملاته.

وأمّا المكتسب فيمكن تسميته بالتقليد أو النقل أو التطبع ،وهو ما يكتسب من البيئة والبيت الذى يربو فيه ، وهذا النوع يكون بحسب ما فى الآخرين من صفات الفضائل والمكارم التى تغرس فى الصغير نقلا أو تقليداً أو تلقيناً ، أعنى التلقين التوجيه والإرشاد.

وإليك بيان أنواع الفضائل وضدها :

١- الشجاعة وضدها الجبن.

٢ - الأمانة وضدها الخيانة.

٣ - الصدق وضده الكذب.

٤ – الكرم وضده البخل.

٥ – العفة وضدها الخسة.

٦ – الحياء وضده الفجور.

٧ – التواضع وضده الكبر.

٨ – الحلم وضده الغضب.

٩ – العلم وضده الجهل.

١٠– الضمير وضده إنعدام الضمير.

وإليك توضيح الفضائل:–

أولا : الشجاعة : هى القدرة على الإقدام لفعل شئ ما بقـــوة وجســـارة دون تردد ، وهى نوعان :

أ) شجاعة البدن : أى قوة الجسد وإعداده كما هو الحال فى إعداد وتكويـــن الجيوش للحروب وغيرها من الأعمال التى تعتمد على القوة.

ب) شجاعة النفس : وهى قدرة النفس على مواجهة المواقف الصعبة بغيـــة الثبات والصمود وقد يكون الثبات والصمود ردعاً للأعداء ، بمعنى أنْ لا يتأثر بما يكيدون له ، أو بما يلحقون به من أذى ، بل يعمل على إثبات ضــــد مـــا تمنوا وأنه موجود لا يتأثر بفعلهم فكلما كادوا ودبروا، كلما علاِ وارتقى فــوق كيدهم وهو ما يحزنهم ويسبب الإحباط لهم. وقد يكون ثبات النفس طمعاً فــى الفوز بثواب اللّه جل وعلا وعظيم فضله كما هو الحال فى شـــهداء كربـــلاء أصحاب الحسين بن على رضى الله عنهما ، وكما هو الحال فى أيوب عليـــه السلام. لأن جبن النفس أصعب من جبن البدن فقد تجد بعض الأفراد ينتحـــر لأتفه الأسباب لأنه يعجز عن مواجهة موقف معين ، قد تجد من يرســـب فـــى الإمتحان ينتحر ، إنها تفاهة النفس وأردى أنواع الجبن فيها ، وقد نجد مـــن يفشل فى علاقة عاطفية ينتحر ، وهكذا كل جبنـــاء النفـــس أعنـــى ضعـــاف

النفوس الذين يعجزون عند مواجهة الصعاب سواء كانت ذات قيمة أو تافهة فإنهم يهربون بالإنتحار من ضعف نفوسهم وجبنها.

بينما نجد عظماء يملكون شجاعة فى النفس نادرة فما يزيدهم الفضل إلا إصراراً على القيام بعده ، وما يزيدهم الرسوب إلاّ إصراراً على انجاح منه. وما أنْ تنزل بهم البلايا إلا ثبتوا وتسلحوا بالصبر والذكر ، فالصبر هو طاقة فى كيان النفس أى قدرتها تحمل شئ وهى تكرهه ، لذا كل عامل فى الوجود يجزى أجره إماً بكيل أو وزنٍ أو مساحة إلاّ الصبر ، قال الحق جلا وعلا : (إنّما يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب).

أمّا الذكر فهو الملجأ والمخرج والسكينة لقوله عز ثناؤه : (ألا بذِكْرِ اللّه تطْمئنُ القُلُوب).

والشجاعة محاطة بشيئين :

١ - تهور ٢ - جبن

فإنْ أسرف فى الإقدام يسمى تهور، وإنْ أحجم يسمى جُبْنًا.

ولا يمكن أنْ نقول لمن ييأس وينتحر لأتفه الأسباب شجاعاً.

أما الإفراط فى الشجاعة ، أعنى التهور دون حكمة ، قد يلحق الضرر بالفرد أو الأسرة أو المجتمع هذا النوع لا يسمى شجاعة.

أما الشجاعة فى التسابق على فعل الفضائل والجهاد ودفع الظلم وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الضعيف ونصرة المظلوم ، فكل هذه من أسمى أنواع الشجاعة ، وهناك نوع من أعلا مراتب الشجاعة هو الشجاعة الأدبية أعنى ثقة الإنسان بنفسه وصدقه مع ربه فلا يخشى إلا هو .

تهور	شجاعة	جبن

ثانيا : الأمانة : هى صفة يتحلى بها الأبرار فيسعدون بدرجات القــرب مــن العزيز الغفار ، وصفة الأبرار جاءت من البر ، والبّر كلمة تجمع شتى صنوف الفضائل والخير عامة ، والبّر أعم من التقوى إذْ أنّ التقوى جزئية من الـبّر ، دل على ذلك قول الحق جل وعلا : (وَتَعَاوَنُوا عَلى البِّرِ وَالتَقْوَى).

والأبرار هم من اتصفوا بشتى صنوف الفضائل وكريم الأفعــال ، وضــد الأمانة : الخيانة ، وهى صفة الأشرار الفجار ينالون بها غضـــب الجبــار ، وعقاب النار ، وكلمة خيانة : تجمع شتى صنوف الرذائل وقبيح الأفعال.

ومعنى الأمانة : أنْ يكون العبد يقظ الضمير فيما بينه وبين ربّه، يتذكــر دائماً أنه إذا نامت كل العيون ، فالحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ويمكــن تسمية الأمانة بيقظة الضمير الأخلاقى فيما بيــن العبــد وربــه ، فــالأمين : ضميره يقظ ، أماَّ الخائن فضميره ميت منعدم ، لا يبالى فى إرتكاب الســيئات وفعل المحرمات.

ولقد نبهنا الرسول الأعظم (ﷺ) إلى أهمية الأمانة فى حياة الأمـــة بــأنْ جعلهاِ هى الإيمان فقال (ﷺ) : (لا إيمان لمن لا أمانة له).

فثبت من الحديث الشريف أنّ الأمانة هى الإيمان كله مَنْ ضيّعها لا إيمان

والأمانة تكون فى كل شئ مما وهب الله تعالى الإنسان فـــى الحيــاة أو جعله خليفة عليه يتولى أمره ، فتربية الأبناء أمانة ، والإحسان إلى الوالديــن أمانة ، ومال الوطن عامة أمانة ، والجوارح والأعضـــاء أمانــة ، والســمع والبصر أمانة واليدان والرّجْلان أمانة ، والقول والفعل أمانة ، وأداء الحقـوق إلى أصحابها أمانة.

ولعلنا ندرك أنّ الحكم والقضاء لا يقاما ولا ينْصبا إلا إذا ضاعت الأمانات لقوله عز ذكره : (إنّ اللّه يَأمُرُكم أنْ تؤدّوا الأمانَاتِ إلى أهْلِهَا وإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ).

فثبت من النص القرآنى الكريم أنه لا قضاء ولا حكم إلا إذا ضاعت الأمانات ولم تُرَد إلى أصحابها ، وقد نبه سبحانه وتعالى إلى وجوب العدل إذا نصب القضاء حتى ولو كان أحد الخصوم قريب القاضى.

ونلاحظ دائماً أنّ الأمانة محاطة برذيلتين :

غدر	أمانة	خيانة

أمّا الخيانة : فهى غيبة الضمير.

وأمّا الغدر : فهو ما يديره الجبناء من كيد يُنفّذ فى الخفاء على حين غفلة.

والغدر والخيانة صفتى الجبناء ، فنعوذ باللّه من الغدر والجبن ، ونسأله أنْ نكون من الأمناء.

ثالثا : الصدق : وهو مطابقة الخبر للواقع ، أعنى صدق الحديث فى التبليغ أو الإخبار ، يقابله حقيقة ، والصدق هو أسمى صفة عُرف بها واشتهر الرسول الكريم محمد(ﷺ) منذ نشأته فعرف بين القوم بالصادق الأمين.

والصدق صفة حميدة محبوبة لدى من يعاملهم الإنسان ويعايشهم، وهى صفة محببة إلى الرب جل وعلا ، يرفع بها درجة العبد فى مقام النبيين والشهداء والصالحين ، دل على ذلك قوله عز ذكره : (وَمنْ يطع اللّه

والرَّسُولَ فأُولَئكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عليهم من النَّبِيين والصِّدِيقينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَالِحين وحَسُنَ أولئك رفيقا).

والصدق كلمة تهدى إلى البِّر ، والبِّر يهدى إلى الجنة ، وضد الصدق الكذب ، وهو عدم مطابقة القول للحقيقة ، أى أنَّ الكذب هو تغيير الحقائق وتضليل السامع ، وهو صفة ذميمة ممقوته يبغضها الرب والعبد.

ولذا جاء فى حديث الرسول (ﷺ) عليكم بالصدق فإنَّ الصدق يهدى إلى البِّر ، و البِّر يهدى إلى الجنة ، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللَّه صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإنَّ الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار ، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللَّه كذّابا، نعوذ بالله من الكذب . وأسعد يوم عند الصادق هو يوم العرض واللقاء يوم يقول الله تعالى لهم : (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِين صِدْقُهُم).

رابعا : الكرم : وهو السخاء فى العطاء مما أنعم الله تعالى به على العبد من النعم والمال فى الحياة الدنيا ، وضد الكرم : البخل ، وهو التقتير والحرص على المال بشدة ومنع إخراج الصدقات.

ويمكن تسمية الكرم بأنه العطاء مع الرضى بأنَّ يُطْعِم الطعام ويخرج الصدقات ، ويكرم الضيف برضى ، وهو ضد البخل ، إذْ أنَّ البخل هو المنع والحرص والشح ، أى إذا أعطى البخيل يكون غير راضٍ عن نفسه حزين فى قلبه.

والكرم : يعنى عدم التبذير وعدم التقتير ، أى لا إسراف ، ولا تضييق على من يعول ، فالكرم يعنى الإعتدال فى استخدام المال.

والكرم : صفة يحبها الرحمن جل وعلا ، يحبها الخلق ، وجاء فى الحديث القدسى قوله عز وجل : (أحب الكرماء ، وحبى للفقير الكريم أشد ،

فكفى بالكرم فخراً أنّ أهله ينالون درجة حب الله تعالى لهم فى الدنيا والآخرة).

وبئس صفة البخل التى ينال أهلها درجة البغض من الله تعالى ، فى الدنيا والآخرة ، فى قوله تعالى فى نفس الحديث (وأبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد) .

ونلاحظ أنّ الكرم محاط دائماً برذيلتين:

شح	كرم	بخل

فإن أسرف فى الكرم يسمى تبذير ، وإنْ أمسك يُسمى تقتير.

أمّا الشح : فيعنى العطاء بقلة ، أو القلة فى العطية.

وأمّا البخل : فيعنى المنع بالجحود ، أى إذا أُرْغِم على العطية ، يكون غير راضٍ من داخل كيانه.

ولقد أثبت التنزيل فيما حكاه القرآن عن بخل ثعلبة قول الحق جل وعلا : (وَمِنْهُم منْ عاهدَ اللَّه لَئِن آتَانَا منْ فَضْلِهِ لنصدَّقَنَّ وَلَنكُونَنَّ من الصَّالِحين ، فَلَمَّا آتَاهُم مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُون، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِم إلى يَوْمِ يلْقَوْنَهُ بمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وبما كَانُوا يكْذِبُون).

فثبت بالنص القرآنى الكريم ، أنّ البخل يُورِثُ النفاق فى القلوب، وهو صفة ممقوتة نعوذ بالله تعالى منها ، ونسأله أنْ يجعلنا من الكرماء ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، فينالون حب الله تعالى لهم وتكريمه إياهم يوم العرض والجزاء.

خامسا : العفة : ويقصد بها التوسط بين الملذات والإقلاع عنها. وتعرف العفة : بأنها الإعتدال فى تناول لذات الحواس. فإنْ أسرف فى العفة يكون خسة ، وإنْ أحجم عنها ، يكون فسقاً. فهى تنحصر بين الخسة والفسق.

وقد قال الحق تعالى : (ولا تنسَ نصيبك من الدُّنيا وأَحسِنْ كما أَحْسَن اللَّهُ إليكَ). ويمكن تسمية العفة ، بأنها الاقتناع بالحلال ، وعدم العفة ، هو التجاوز إلى ما حرم الله.

سادسا : الحياء : وهو ثلاثة أنواع :

أ) الحياء من الله باتباع ما أمر واجتناب ما نهى.

وجاء في حديث الرسول (ﷺ) قال : استحيوا من اللّه عز وجل حق الحياء ، فقيل يا رسول الله: كيف نستحيي من اللّه تعالى حق الحياء ، قال: من حفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وترك زينة الحياة الدنيا ، وذكر الموت والبلى ، فقد استحيا من اللّه عز وجل حق الحياء .

ويمكن تسمية الحياء من اللّه ، بأنه شدة الخوف مع دقة المراقبة ، بمعنى أنه أي العبد متيقن دائماً أنه لا رقيب عليه إلا الله جل وعلا ، فهو حياء الخشية والخوف من الجليل عز شأنه.

وهذا ما أنعم الحق تعالى به ، ونعم الحق تعالى لا تحصى ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن طمعاً في الغفران

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

المحتويات


علموا الأبناء صدق الانتماء
الوطن
و
حقوق غير المسلمين فى بلاد الإسلام
بقلم
محمد محمود عبدالله
مدرس علوم القرآن بالأزهر